الفصل الثالث
في معجمية الحضارة (الأثر)

إجابة الداعي!
أثر البلاغة
في تطوير المعجمية العربية

(١) مدخل: الشاهد الشعري: البلاغة والحضور في المعجم.

يعلن الشاهد عن نفسه في تاريخ المعرفة العربية أساسا يوشك أن يكون مرادفا للعلم نفسه الذي يتأسس به. لقد قال الشيخ محمد الطنطاوي في (نشأة النحو) [ص :٢٥٠]: "إن الشاهد في علم النحو هو النحو"! وهو الأمر الذي قاست عليه فوزية الطاهر، فقالت في (الشواهد البلاغية وتوظيفها) [ص:٤٩]: "والبلاغة حقيقة هي الشواهد، وكل ما يكتب في كتب البلاغة إنما هو دندنة حول الشاهد، واحتفاء به، وتقرب إليه"!

ويذكر اللسانيون المعاصرون نوعين من أنواع الاستشهاد هما:

أ- الاستشهادى اللغوي: وهو الذي يكون "لإثبات أن الاستعمال اللغوي المشهود له هو من فصيح كلام العرب"، على ما يقرر الدكتور محمد حسن جبل في)الاحتجاج بالشعر في اللغة: الواقع ودلالته) [ص:٦٨].

ب- الاستشهاد المعنوي أو بالمعاني: وهو الذي "يقصد بالمعاني فيه...: المعاني العقلية؛ وهي الفكرة العامة أو الكلية للعقل؛ أي أنها لا يقصد بها معنى لفظ أو تركيب مثلا" كما يقرر الدكتور محمد حسن جبل كذلك [ص:٥٨]، ثم يضيف: "فهذ النوع من الاستشهاد... يسمى استشهاد في مجال الفكرة، أو المعنى العقلي أو البلاغي أو الشعري".

وعلى الرغم من إرادة التمايز الواردة من وراء هذا التفريق– فإن أحدًا لا يستطيع أن يقرر غياب الشاهد المعنوي عن المعجم العربي. صحيح أن الحضور الطاغي في المعجم العربي كان لنوع الشاهد اللغوي، ولكن حضور الاستشهاد بالمعاني لم يغب، وإنما كان حضوره ظاهرا منذ البدايات الأولى التي شهدت ميلاد المحاولات المعجمية الأولى، على ما يظهر من استرجاع السياق المطيف بالكلمات التي أراد نافع بن الأزرق من ابن عباس، رضي الله عنهما، أن يفسرها له في ما يعرف باسم (سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس)، فقد أورد نافع بن الأزرق الآيات في كل ما سأل عنه من كلمات. وهو إدراك وشعور مبكران جدا لأثر السياق الذي يطيف بالكلمة في الكشف عن معناها [انظر: مسائل نافع بن الأزرق: ص: ٣١-٨٢].

لقد استقر في النظرية اللغوية أن الشعر كان أساسا حاكما في التقعيد والتأسيس حتى برزت العلاقة بين: الشعر واللغة ظاهرة جدًّا.

وبعيدا عن الآثار السلبية لهذه العلاقة في غير اتجاه= وهي الآثار التي توقف أمامها الدكتور تمام حسان في (اللغة بين المعيارية والوصفية) [ص:١٧٠ وما بعدها]، ونقلها واعتمدها بعده نفر كثير من الدارسين كان من أظهرهم الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في)لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية) [ص: ٤٩ وما بعدها]= فإن تأثير الاعتماد على الشاهد الشعري في تأسيس علم المعجم في الحضارة العربية الإسلامية ترك آثاره في تطوير المعجمية العربية على مستوى الوظائف ومستوى التصنيف والمدارس معًا. وهو ما سوف يكون مشغلة هذه الورقة في المطالب التالية.

(٢) استجابة المعجمية العربية العامة لمطالب المجاز والبلاغة.

في هذا المطلب محاولة تتغيا الكشف عما تركته مطالب المجاز والبلاغة في المعجمية العربية العامة.

والظن قائم أن ثمة أثرا ظاهرًا لمطالب المجاز والبلاغة والأدب في تطوير هذه المعجمية، وهو الأثر الذي تمدد ليحكم التجليات التالية:

أولا- التصنيف المعجمي.

ثانيا- الوظائف المعجمية.

(١/٢) أثر المجاز والأدب في تطوير التصنيف المعجمي.

يذكر الدكتور حسن نصار في (المعجم العربي: نشأته وتطوره) [١٥٩/١] تعليقا على ظهور مدرسة القافية المعجمية التي ترتب الألفاظ وفق الحرف الأخير منها: "وكان السبب في اللجوء إلى هذا النظام وغلبته على المعاجم فيما بعد **شيوع السجع** منذ القرن الثالث"، ثم يعود فيقول [٣٨٢/٢]: "وقد عرفنا قبل أن سبب اهتمامهم بأواخر الألفاظ **غلبة السجع** على كتاب هذه العصور".

إن هذا التعليل الذي يفسر به الدكتور حسن نصار نشأة مدرسة القافية المعجمية يقع في الصميم مما يمكن أن يسمى بتأثير البديع في تطور المعجمية العربية على مستوى التصنيف.

ومن هنا فإن ما قرره الدكتور رمضان عبد التواب، رحمه الله، في (فصول في فقه العربية): [ص:٢٥٠]، تعليقا على (ديوان الأدب) للفارابي (ت٣٥٠هـ): "وهذا الكتاب لا يمت إلى الأدب بصلة، كما يوهم عنوانه، بل هو معجم لألفاظ اللغة العربية"= في حاجة إلى المراجعة؛ ذلك أن اتضح نوع صلة بين الأدب وهذا المعجم، كما ظهر من تعليل الدكتور حسين نصار!

وقد اجتهد الدكتور علي جواد طاهر في تعقيبه على الدكتور رمضان عبد التواب أنه يوجد علاقة فقال في (مطالعات في كتاب فصول في فقه العربية) [مجلة العرب ج٣-٤، للسنة ٢٢ رمضان/ شوال سنة ١٤٠٧ه= مايو/ يونيه سنة ١٩٨٧م؛ ص: ١٧١]: "من قال: إن المعجم ألفاظ اللغة العربية ليس من الأدب؛ يريد المؤلف بالأدب ما يذهب إليه الذهن في أيامنا هذه... وهذا المعنى متأخر"!

لقد حاول الدكتور علي جواد طاهر نقض كلام الدكتور رمضان عبد التواب بحمل الأمر عدم تنبهه إلى تصور مصطلح الأدب قائلا إن: "الأنباري جعل اللغويين أدباء في النزهة، وجعلهم ياقوت في الإرشاد. ما المانع أن تكون في اللغة أدبا. المسألة

مسألة مصطلح في زمن". والأمر على غير ما حمله عليه الدكتور علي جواد طاهر، ولكن ما يهمنا هو ما وجهه إلى الدكتور رمضان عبد التواب من نقد يكشف عن وعي بالعلاقة بين المدرسة المعجمية ومطالب الأدب والبلاغة.

لقد كشف هذا الجدل حول ما إذا كان ثمة علاقة بين هذا المعجم وأمثاله، والاستجابة لمطالب بلاغية أو بديعية أو شعرية وأدبية– عن تأثير محتمل لتقنيات الكتابة الفنية عند العرب، وسماتها البلاغية في تطوير المعجمية العربية.

لقد ظهر إذن أن مطالب البلاغة بالمعنى المتسع كان لها أثر في التصنيف المعجمي عند العرب، وهو ما سوف نعرضه في ما يلي:

(١/١/٢) مدرسة القافية المعجمية:

سبق في فقرة سابقة أن تقرر أن ديوان الأدب، للفارابي– ربما يكون تأسيس جزء من نظام ترتيبه **بتأثير بديعي**، رعى خدمة **تقنية السجع** التي كانت فاشية في فنون القول العربي.

وهذا الاتجاه المعجمي الذي طبق إجراء ترتيب المداخل تبعا لأواخرها توزع على أكثر من مدرسة معجمية، كالأبنية، والألفبائية المعكوسة، ولكنهما جميعا لما رتبا المداخل وفقا للحرف الأخير من كل مدخل– أمكن تسميتهما بمدرسة القافية.

ويندرج تحتهما المعجمات التالية:

أ- معاجم الأبنية التي طبقت الترتيب المراعي للسجع:

ورد إلينا عدد من معجمات الأبنية التي راعت ترتيب ألفاظها وفق الحرف الأخير من كل لفظة أو بنية؛ تلبية لحاجات فنية، وتأثرا بتقنية بديعية، ومن هذه المعجمات:

١- التقفية، لابن أبي اليمان البندنيجي، المتوفى سنة ٢٨٤هـ.

٢- ديوان الأدب، للفارابي، المتوفى سنة ٣٥٠هـ.

يقول الدكتور أحمد مختار عمر في (معاجم الأبنية في اللغة العربية) [ص:٦٠] معلقا على سبب تطبيق الفارابي مبدأ ترتيب الأبنية وفق حروفها الأخيرة: إن "هذا النظام ييسر

على الشعراء والكتاب النظم والنثر في عصر شاع فيه **السجع، وفشت فيه المحسنات البديعية،** والتزمت القاوفي".

ب- المعاجم الألفبائية المعكوسة:

جاء إلينا عدد كبير من المعجمات ألفبائية الترتيب، رتبت الألفاظ وفق الحرف الأخير، ومن معاجم هذه المدرسة ما يلي:

١- الصحاح= تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، المتوفى سنة ٤٠٠هـ.

٢- العباب، للصغاني، المتوفى سنة ٦٥٠هـ.

٣- لسان العرب، لابن منظور، المتوفى سنة ٧١١هـ.

٤- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، المتوفى سنة ٨١٦هـ.

ويتعالق بهذه الأربعة المعاجم بمعجمات أخرى كثيرة اتبعت منهجية الترتيب، جاءت شروحا عليها، أو اختصارات لها، أو استدراكا وتكملة، أو تنبيها وتصحيحا لبعض ما ورد فيها.

وهي جميعا في ما يبدو من التفسير الذي أورده حسين نصار ومن بعده أحمد مختار عمر- استهدفت خدمة الكتابة الفنية التي شاع تصميمها وفق تقنية السجع، واستثمار البديع.

(٢/١/٢) مدرسة معجمات الترسل والأساليب:

ثمة عدد كبير من المعجمات العربية لم يسبق لأحد من دارسي المعجمية العربية- في ما أعلم- أن نبَّه على خصيصة جامعة فيها. وهي خدمة الكتابة والترسل، ونحن نرى أنها ظهرت بتأثير مباشر من ديوان الإنشاء بما هو مؤسسة بالمعنى الكامل.

إننا نرى أن تيارا كاملا من المعجمات العربية ظهر وقد استهدف خدمة الكتابة الفنية قصدا، وليكون وسيلة تدريبية ومرجعية معا يستعين بها من يروم أن يكون كاتبا منشيءا.

وقد راجعت أصول الدراسات المعاصرة في الكتابة الفنية فلم أجد من أشار إلى ذلك، ويمكن مراجعة الدراسات التالية:

أ- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، للدكتور زكي مبارك، الذي أنجزه سنة ١٩٣١م، ونشره سنة ١٩٣٤م.

ب- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، لأنيس المقدسي، نشره بعد كتاب زكي مبارك، وقبل كتاب حسين نصار.

ج- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، للدكتور حسين نصار، التي أنجزت سنة ١٩٤٩م.

د- الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري للدكتور حسني ناعسة، نشره سنة ١٩٧٨م.

هـ- النثر العربي القديم، للدكتور محمد رجب النجار، وكانت طبعته الثانية ظهرت سنة ٢٠٠٢م.

وإذا مسوغا بشكل أو بآخر، خلو دراسات الكتابة الفنية من التنبه للمعجمات التي ظهرت بتأثير مباشر للكتابة الفنية- فإن الغريب هو عدم تنبه دارسي المعجمية العربية المعاصرة في إطار مراجعات التصنيف المعجمي لتراث المعجمية العربية إلى هذا القطاع من الأعمال المعجمية التي ظهرت بتأثير الاستجابة لمطالب الكتابة الفنية، وهي مجموعة المعجمات التي نقترح تسميتها باسم: معاجم الأساليب والترسل، من مثل:

أ- الألفاظ الكتابية، للهمذاني، المتوفى سنة ٣٢٠هـ.

ب- كتاب الألفاظ، لابن مرزبان الباحث، المتوفى سنة ٣٣٠هـ.

ج- جواهر الألفاظ، المنسوب لقدامة بن جعفر، المتوفى سنة ٣٣٧هـ.

د- متخير الألفاظ، لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

هـ- أساس البلاغة للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

و- غراس الأساس، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

وبسبب من الاقتراح الجديد بتصنيفها نوعا من معجمات الأساليب والترسل ظهرت استجابة وتلبية لمطالب **بلاغية** – فإنه يلزم دعم هذا المقترح بالدليل وفي ما يلي محاولة لتأصيل هذا التوجه التصنيفي:

أولا- دليل خطاب الغايات والمقاصد:

لقد ظهر من مقدمات هذه المعجمات أن مقاصد أصحابها هو خدمة الترسل والكتابة الفنية، وهذا الظهور المعلن للمقاصد يمثل الركيزة الأولى من ركائز **إعادة تعيين الانتماء المعرفي** لهذه المعجمات.

يقول الهمذانى [ص:٩]: "جمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناسا من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس، والسليمة من التقعير المحمولة على **الاستعارة والتلويح**... فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت له مادة قوية وعونا وظهيرا، فإن كتب عدة كتب في معنى تهنئة، أو تعزية، أو فتح... أو غير ذلك- أمكنه تغيير ألفاظها".

ويقول قدامة بن جعفر [ص:٨]: "فهذه المعاني مما يحتاج إليه في **بلاغة المنطق** ولا يستغنى عن معرفتها شاعر ولا أديب"! ويقول قبل ذلك [ص:٣]: "وسأذكر ما يختار ويستحسن من الخطاب، **وقصد البلاغة** بالمعنى"!

ومما يدعم هذا المقصد افتتاح قدامة بن جعفر كتابه هذا بتعريف عدد من المصطلحات البلاغية من مثل:

- الترصيع الذي هو عنده: "أن تكون الألفاظ متساوية البناء متفقة الانتهاء".
- اعتدال الوزن [ص:٤].
- -الاستعارة [ص:٥].
- المبالغة [ص:٦].
- التكافؤ [ص:٧].

- التمثيل [ص:٧].

وتحليل خطاب مصطلحية البلاغة هنا يدعم التوجه الجديد في تصنيف هذه المعجمات، لتكون اتجاها يمكن تسميته بمعاجم الكتابة الفنية والترسل خدمة للبلاغة، وبتأثير مباشر من مطالبها.

ويقول ابن فارس [ص:٥٩]: "وليعلم قارئه أنه كتاب يصلح لمن يرغب في جزل الكلام وحسنه"، ويدعم ذلك قوله: "وإنما ألفت كتابي هذا... وجعلت مفاتح أبوابه الألفاظ المفردة السهلة، وختمته بالألفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال **والتشبيهات، والمجازات، والاستعارات"**.

إن هذه النقول جميعا تكشف عن وعي أصحاب هذه المعجمات بمقاصد خدمة البلاغة العربية بصورة ظاهرة. وهو ما تجلى في ما يلي:

١- أغراض التصنيف المتمثلة في خدمة الكتاب والشعراء.

٢- مادة أبواب هذه المعجمات المعتمدة على جمع التراكيب المجازية والاستعارية والتشبيهية.

٣- حياطة المادة والأغراض في هذه المعجمات بجهاز اصطلاحي بلاغي داعم لها.

ثانيا- خطاب المادة المجموعة:

وإن فحص ما أورده أصحاب هذه المعجمات من مادة لغوية مجموعة من نصوص كبار الكتاب والشعراء، مع التركيز على التراكيب الضاربة في الصميم من البلاغة الموزعة على الأمثال، والتشبيهات، والمجازات، والاستعارات، والكنايات، وغيرها= لدليل ظاهر على صحة انتماء هذه الكتب إلى معاجم الأساليب والترسل التي ظهرت بتأثير مباشر من مطالب البلاغة والمجاز.

ثالثا- خطاب الأغراض والمعاني في عنوانات هذه الكتب:

لقد رتبت أبواب هذه المعجمات وفق المعاني والأغراض الأدبية والشعرية، وهو ما يمكن قراءته بوضوح تام في كل عنواناتها.

ومن المدهش افتتاح ابن فارس معجمه [ص:٦٠] بباب عنوانه: "باب متخير ألفاظ العرب في الكلام والبلاغة"، ربما ليشير إلى طبيعة الانتماء المعرفي لمعجمه، عن طريق البدء بما هو غرض المعجم.

وربما ارتبط بهذا الفرع من المعجمات العربية، التي نرى أنها ظهرت استجابة لمطالب البلاغة والمجاز= نوع آخر من المعجمات يمكن تسميتها بمعاجم الاستشهاد، وهي تسمية استعملها الدكتور علي القاسمي في (المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق) وذكر لها [ص:١٨٥] بعضا من الوظائف، يندرج فيها خدمة الكتابة الفنية بطبيعة الحال، وعد كتاب التمثيل والمحاضرة، للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ أول معجم للاستشهاد، وعد معه كتب الأمثال معاجم استشهاد كذلك.

ونحن نخالفه في تعيين الأولية، ذلك أن ثمة كتب أقدم من الثعالبي (٤٢٩هـ) بالإمكان إدراجها في هذا النوع المعجمي، من مثل:

- رسالة في إعجاز أبيات تغنى في التمثيل عن صدورها، للمبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ.
- كتاب أبيات الاستشهاد، لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

وقد أحيطت هذه المسألة بعدد من الكتب والرسائل التي عالجتها من مثل: كتاب الثعالبي سنة ٤٢٩هـ (الاقتباس من القرآن الكريم)، والسيوطي في (رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والالتباس) وفيه [ص:٣٩] يشير إلى عمل سابق للحريري بعنوان (توشيح البيان بالملتقط من القرآن).

ولا شك في أن الاقتباس والتضمين تقنيات تقع في الصميم من الدرس البلاغي وهو ما يمكن معه اعتبار ظهور معجمات: الأمثال العامة والقرآنية والحديثية، والاستشهادات الشعرية كان استجابة لمطالب البلاغة والكتابة الفنية.

(٢/٢) أثر المجاز والبلاغة في تطوير الوظائف المعجمية.

(١/٢/٢) التفريق الواضح بين الحقيقة والمجاز، والكناية والتصريح.

(أ) كان الشائع في تاريخ المعجمية العربية أن المعاجم أعمال لغوية قامت وارتبط وجودها بخدمة من اللغة أو الثروة اللفظية، حتى ظهر معجم **(أساس البلاغة)**

للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ فكان التحول الكبير، يقول الدكتور حسين نصار [٢/٥٥٠]: "ألف... الزمخشرى معجمه على أسس تختلف كل الاختلاف عما شاهدناه إلى ذلك الوقت في المعاجم الأخرى، ويظهر هذا الاتجاه أو ما يظهر في عنوان الكتاب نفسه، فهو ليس بمحيط، ولا صحيح، ولا تهذيب، ولا بارع في اللغة، وإنما (أساس البلاغة)، وإذن فالميدان تحول من (اللغة) إلى **(البلاغة)**، وسبب هذا التحول واضح هو (القرآن) كتاب العربية الأعظم الذي أنزله الله (مختصا) من بين الكتب السماوية بصفة **بلاغية"**.

ثم يقول: "رمى المؤلف في معجمه أن يوضح وجوه هذه **الإعجاز البلاغى"**، ثم يقول [٢/٥٥١]: "هذا الخلاف في الهدف جعله (أي: أساس البلاغة) يختلف عن بقية المعاجم في ميدان البحث؛ فالشغل الشاغل للمعجم اللغوي: اللفظة المفردة... أما **المعجم البلاغى** فيعني بالعبارة المركبة... التي لها **مركز ممتاز**... فيورد الألفاظ في استعمالاتها العربية البليغة"!

وقد أطلنا عن عمد في النقل عن حسين نصار، لنقرر معه:

أولا- وضوح إطلاق تسمية معجم أساس البلاغة **بالمعجم البلاغي!**

ثانيا- وضوح تحكيم معيار المادة المجموعة للمعالجة في هذا المعجم، وهي العبارات الممتازة في مركزها، البليغة، وهو ما يدعم اقتراحنا السابق الخاص بتصنيف طائفة من المعجمات البلاغية، سميناها باسم معاجم الأساليب والترسل.

ثالثا- وضوح الغاية والمقصد والغرض الذي دفع الزمخشري إلى بناء معجمه، وهو المقصد المرتبط بقضية بلاغية بامتياز، وهي خدمة مبحث الإعجاز.

رابعا- وضوح الهدف العملي من المعجم وهو خدمة السائرين على طريق الإبداع الأدبي.

وهذه الملامح مجتمعة ظاهرة ماثلة في أمرين من المعجم هما:

أ- عنوان المعجم: أساس البلاغة وتحليل العنوان باب أصيل في الكشف عن انتماءات الكتب المعرفية.

ب- مقدمة المعجم.

إن تحليل المقدمة كاشف عن هذا الانتماء المعرفي ابتداءً، وهو ما حملنا على إدراج أساس البلاغة ضمن قائمة معاجم الأساليب والكتابة الفنية، وحمل الدكتور حسين نصار أن يدرجه ضمن ما سماه بالمعجم البلاغي، ثم هو كاشف عن ذلك بدليل المادة المجموعة فيه، يقول الزمخشرى [١/د]: "ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين، انطوى تحت استعمالات المعلقين".

ثم بدليل الغايات والمقاصد التي استهدفها، يقول الزمخشرى [١/د]: "ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب الترصيف". "ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح".

والتوقيف على مناهج التركيب والتأليف وتعريف مدارج الترتيب والترصيف من جانب وتأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح من جانب آخر أعمال تقع في القلب من الكتابة الفنية والترسل والإنشاء والإبداع القولي.

وهي جميعا أمور محتاجة إلى الإحاطة بفارق ما بين المجاز والحقيقة من جانب، والكناية والتصريح من جانب آخر، وهي مباحث بلاغية بامتياز تجعل من معجم أساس البلاغة معجما فوق لغوى، إن صح التعبير، أو تجعله معجما بلاغيا وقد جاءه هذا التصنيف من الخصائص المنهجية التالية:

أ- المقاصد والغايات المستهدفة.

ب- المادة المجموعة المتمثلة في العبارات والتراكيب الممتازة المركزة.

ج- الابتكار على مستوى بعض الوظائف المعجمية، وهو ابتكار إضافة المعاني المجازية، وإفرادها بالنص، وحياطتها بالذكر والرعاية.

يقول الدكتور رمضان عبد التواب في (فصول في فقه العربية) [ص:٢٥٧]: "وقد خطا الزمخشري في كتابه هذا خطوة جديدة في حركة التأليف في المعاجم العربية... اهتم فيه... بناحية مهمة في دلالة الألفاظ؛ تلك هي ناحية **المعاني الحقيقية والمجازية للكلمات**".

(ب) ولم يقف الزمخشري في أساس البلاغة وحيدا في تاريخ المعجمية العربية في مجال الاستجابة لمطالب البلاغة والمجاز بتطوير عدد من الوظائف المعجمية، ولاسيما ما يتعلق بوظيفة شرح المعنى– فقد جاء **مرتضى الزبيدي** المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، يقول الدكتور حسين نصار [٥٣٧/٢]: "أما الظواهر الجديدة التي أتت على يد مرتضى الزبيدي فيبرز منها... **المعاني المجازية**، فقد عنى بإبرازها، والتنبيه عليها عناية شديدة لم نر مثلها في معجم عام، وكان من آثار هذه العناية نهله من أساس البلاغة نهلا".

(ج) ثم جاء **ابن حجر العسقلاني** المتوفى سنة ٨٥٢هـ وأخلص معجمه (غراس الأساس) لرعاية المعاني المجازية فقط؛ يقول [ص:٥-٦]: "وقفت على كتاب: أساس البلاغة للزمخشري) أي القاسم جار الله، فوجدته كتابا نفيسا: اشتمل على الكلمات الظاهرة والأمثال السائرة... وصدر ما وضع بإزاء الحقيقة وتلى بما استعمل **بطريق المجاز**، وفصل كلا منهما بأوضح امتياز... فرأيت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة في اللغة من تبيين **الحقيقية من المجاز**... فرأيت الاقتصار منه على ما جزم بأنه وضع **على سبيل المجاز**"!

إن هذا التطور الذي أصاب أهم وظائف المعجم بإطلاق، وهي وظيفة شرح المعنى جاءت وسكنت المعجمية العربية استجابة لمطالب البلاغة بصورة جلية ومباشرة.

(٢/٢/٢) التفريق بين المعاني المعجمية والمعاني الشعرية (السياقية):

ظهرت المعجمات العربية مستهدفة جمع اللغة، وصيانة معانيها، وحفظها كما وردت عن العرب؛ لأغراض دينية وعلمية في الأساس.

صحيح أن ثمة علامات وإرهاصات دلت على نوع تقدير للسياقات التي كانت تطيف بالكلمات وتوجه معانيها منذ تاريخ قديم في المعجمية العربية، وربما تعود به إلى أول محاولة معجمية وصلت إلينا، وهي المعروفة باسم: سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس، رضي الله عنهما.

ولكن الصحيح أن استقلال العناية بالمعاني السياقية في كتب مستقلة مدين للإبداع الشعري والنثري معا، بمعنى أن الشعور بخصوصية المعاني التي تتخلق في نصوص

الإبداع الشعري والنثري هو الذي قاد إلى تأليف كتب خاصة بمعاني الكلمات الواردة في نصوص بعينها.

إن ثمة إمكانا لتصنيف الأعمال المعجمية التالية، في وجه من الأوجه ضمن المعاجم التي يصح أن تسمى بالمعاجم السياقية:

أ- معاجم غريب القرآن الكريم؛ ذلك أنها انشغلت ببيان معاني الكلمات القرآنية في سياقها من الآيات الكريمة.

ب- معاجم غريب الحديث النبوي الشريف، ذلك أنها انشغلت ببيان معاني الكلمات الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة في سياقاتها من هذه الأحاديث.

والدليل على ذلك الاعتبار والتصنيف ظاهر في أن الذين استدركوا على هذه المعجمات اعتنوا في بعض ما استدركوه بتصحيح المعاني والفهوم التي سبق أن غلط فيها بعض شراح لغة الحديث على ما نرى من تصحيح كل من: الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، في: إصلاح الأخطاء الحديثية، وابن ناصر السلامي المتوفى سنة ٥٥٠هـ في كتاب التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغريبين للهروى، والطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٩٧٣م، في: النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح فهذه الكتب وغيرها بتصحيحها معاني أخطاء شراح الأحاديث في فهمها دليل على ما أقرره من أنه يمكن النظر إلى معاجم غريب الحديث النبوي بما هي معاجم سياقية، خلقت فيها المعاني خلقا جديدا.

على أن الذي أعنيه في هذه المقالة من البحث هو الكتب التي ظهرت تشرح ألفاظ خاصة بإبداع بعينه.

ومما يمكن أن يكون مثالا ظاهرا على ما نقرره هنا ما يلي:

أ- نبذ من شرح غريب مقامات للحريري، للحريري المتوفى سنة ٥١٥هـ، أملاها على المعافري القرطبي المتوفى سنة ٥٦٦هـ.

ب- شرح مشكل ألفاظ مقامات الحريري، للحريري أملاها على المعافري القرطبي المتوفى سنة ٥٦٦هـ.

ج- شرح الألفاظ اللغوية من المقامات الحريرية، لأبي البقاء العكبري، المتوفى سنة ٦١٦هـ.

وأول دليل يظهر يدعم ما نذهب إليه هو أن هذه المعجمات شرحت الألفاظ الواردة في المقامات، متبعة أمرين ظاهرين هما:

أولا- ترتيب المعجمات وفق ترتيب المقامات، فيبدءون جميعا بشرح غريب ألفاظ مقدمة المقامات، ثم ينتقلون فيشرحون غريب المقامات الأولى، فالثانية، فالثالثة وهكذا دواليك.

ثانيا- إيراد التركيب الوارد فيه اللفظ موضع الحاجة إلى التفسير والشرح.

ولعل ما يدعم أيضا تصنيف هذه الكتب ضمن المعاجم السياقية التي تغيت تفسير ألفاظ إبداع الحريري في المقامات- ذلك الجدل الذي دار بين من اعترض على الحريري في مقاماته؛ كابن الخشاب البغدادي المتوفى سنة ٥٦٧هـ، وبين من انتصر له ضد الاعتراض كابن بري المصري المتوفى سنة ٥٨٢هـ، ذلك أن كثيرا من انتصارات ابن بري ضد اعتراضات ابن الخشاب كانت في أمور تتعلق بتصحيح معاني ألفاظ وردت في المقامات.

أضف إلى ذلك وعي بعض محققي هذه الكتب، تقول حياة قارة في مقدمة تحقيق (مشكل ألفاظ المقامات) و(نبذ من شرح غريب المقامات) [ص:٦-٧]: "وهكذا نلاحظ أنه بإزاء الحريري المشهود له بالمهارة اللغوية العالية، وبالإبداع والابتكار نجد شارحا مسلحا بكفاءات لغوية تشهد له بالإمامة فيها يتنبه إلى مهارة التلاعب باللغة... مما دفعه إلى وضع هذين الشرحين اللذين حدد فيهما **تحديدا معجميا** دقيقا دلالة الغريب والمشكل من الألفاظ الواردة في تلك المقامات".

إن هذه الاعتبارات جميعا تجعل من هذه الكتب التي انفردت واستقلت بشرح ألفاظ نص إبداعي بعينه تعكس تقدم العناية زمنيا بالخلق الشعري لدلالات الكلمات في

نصوص بعينها. كما تعكس أيضا عددا من الحواكم البيانية والبديعية في تخليق معاني كثير من الألفاظ في هذه النصوص الفنية.

ومن ذلك يتضح أن المعجمية العربية العامة كانت مرنة وإيجابية في استجابتها لمطالب المجاز والبلاغة العربية.

وقد كان من آثار هذه الاستجابة ظهور ما يلي:

أ- مدرسة القافية المعجمية استجابة لمطالب بديعية.

ب- مدرسة الأساليب والكتابة الفنية استجابة لمطالب إبداعية وإنشائية وبيانية، وقد ارتبط بها كذلك نوع آخر هو معاجم الاستشهاد.

ج- تطور على صعيد الوظائف المعجمية، ولا سيما ما يخص وظيفة شرح المعنى؛ إذ ظهر نوع عناية بالتفريق بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية للكلمات، ونوع عناية بالتفريق بين المعاني المعجمية، والمعاني الشعرية التي تتخلق في فضاءات النصوص الإبداعية.

وربما ينضاف ملمح خدمة مطالب الدرس البلاغي في بعض المعاجم ذات الصيغ الموسوعية التي اعتنت ببعض المفاهيم والأعلام البلاغية.

ولعل المستقبل يشهد إنجازا على صعيد تأسيس معجمي يرعى جمع دلالات الكلمات في استعمالات الشعراء العرب على اختلاف أزمنتهم وبيئاتهم وتجاربهم الشعرية.

إن إعادة فحص أعيان المعاجم العربية على امتدادها التاريخ ربما يساعد في الكشف عن أبعاد التأثير المباشر وغير المباشر الذي أحدثته مطالب خدمة المجاز والبلاغة العربية في المعجمية العربية؛ إن على مستوى التصنيف، والمدارس، والاتجاهات، وإن على مستوى الوظائف المعجمية المختلفة، ولا سيما على صعيد وظيفة شرح المعنى، ووظيفة مستوى الاستعمال Usagelable مما قد يكشف عن آفاق جديدة لتأثير مفردات علوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع، ومفردات مسائل كل علم في تطوير المعجمية العامة تعيينا، وهو ما يحتاج إلى مواصلة البحث في هذا الاتجاه المهم.

(٣) استجابة المعجمية العربية المختصة لمطالب البلاغة العربية.

كان لنضج الدرس البلاغي في التراث العربي، ثم تمدد هذا النضج مع الزمان أثره في تطوير المعجمية العربية المختصة تعيينا.

وهذا التطوير طال منطقتين أساسيتين هما:

أولا- منطقة معاجم المصطلحيات.

ثانيا- منطقة معاجم المصطلحيات البلاغية.

(١/٣) ظهور العناية بمصطلحية البلاغة العربية في المعجمية العربية المختصة التراثية:

مع ازدهار العلم في الحضارة العربية، واستقرار المذاهب والمدارس في العلوم المختلفة على امتداد الخريطة العربية ظهر نوع حاجة إلى تحرير المفاهيم والتصورات، وخدمة الأجهزة الاصطلاحية لكل علم من هذه العلوم التي نشأت في هذه الحضارة.

وتطورت هذه الحاجة لدرجة دعت علماء المعجمية المختصة في التراث العربي إلى جمع مصطلحيات العلوم في معجمات خاصة عرفت باسم: معاجم المصطلحات المتعددة العلوم، وسميتها باسم معاجم المصطلحيات في (معاجم المصطلحيات في تراث العربية: مدخل للاستثمار المعاصر) [انظر: ص:٨ وما بعدها].

وكان مما ازدهر، ونضج مختلطا بغيره أو مستقلا عن غيره، علم البلاغة، فاحتاج دارسوه أصحاب هذه المعاجم المختصة إلى جمع مصطلحيته، وتحريرها.

ويهمنا في سياق قراءة أثر البلاغة العربية في المعجمية المختصة معجمان من معاجم المصطلحيات هما:

أ- مفاتيح العلوم، للخوارزمي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ.

ب- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.

ويمتاز هذان المعجمان بأنهما أوردا المصطلحات مرتبة ترتيبا علميا؛ أي جاءت مصطلحات البلاغة مجموعة في حيز موضوعي واحد، وليس وفق الترتيب الهجائي، مما يعكس الوعي المبكر بخصوصية الجاهز الاصطلاحي للبلاغة العربية.

ثم ينضاف ملمح آخر في مفاتيح العلوم، للخوارزمي وهو انضواء مصطلحية علم البلاغة تحت قسم علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية، وهو ما يعكس إدراك تصنيف العلوم في هذه الحضارة ضمن علوم العربية، بما هي آلات خادمة للشريعة.

(٣/١/أ) معالجة المصطلح البلاغي في مفاتيح العلوم، للخوارزمي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ:

عالج الخوارزمي الكاتب المصطلح البلاغي في أكثر من موضع/ موضوعي من معجمه المفاتيح، وهذه المواضع الموضوعية هي:

أولا- كتاب الرسائل: يقول [ص:٧٢]: "وأنا ذاكر في هذا الفصل ما هو خاص لهم دون طبقات الكتاب في نقد الكلام ووصف نعوته وعيوبه". ومما ذكره في هذا الفصل: التسجيع/ والترصيع/ والتضريس/ والمقابلات/ وغيرها من المصطلحات.

ثانيا- في نقد الشعر: ومما ذكره في هذا الموضع: التشبيه/ والاستعارة/ والمذهب الكلامي (أو أسلوبه الحكيم)، وغيرها من المصطلحات.

صحيح أن الخوارزمي الكاتب لم يفرد فصلا يجمع فيه مصطلحية البلاغة، أو البيان والمعاني والبديع، ولكن ما أورده من مصطلحات في هذين الفصلين يكشف عن انتمائها لهذا العلم صراحة.

وبهذا يمكن القول بأن نضوج الدرس البلاغي واستقلاله، وتمدده في وقت مبكر كان من ثمراته توجه المعجمية المختصة للعناية بمصطلحيته على مستويات:

- الجمع.
- والتصنيف.
- والتحرير والشرح.

وبعض ما يميز منجز الخوارزمي في رعاية مصطلحية البلاغة ظاهر في الإطار التصنيفي الذي حكم معالجته، فقد اتضح من التصنيف أن المصطلح البلاغي جاء في سياق ظهر تعلقه بالشريعة، والدوران في رحابها بحكم انضوائه تحت قسم علوم الشريعة

وما يقترن بها من علوم العربية. وهو ما يكشف عن الوظائف التطبيقية والبرهانية التي اضطلعت بها البلاغة العربية منذ نشأتها، وهو ما يكشف عن طبيعة الاستجابة العملية للمعجمية المختصة لمطالبها المفهومية.

(٣/١/ب) معالجة المصطلح البلاغي في مقاليد العلوم في حدود الرسوم، المنسوب للسيوطي، سنة ٩١١هـ:

أفرد كتاب مقاليد العلوم بابا مستقلا لمصطلحات المعاني والبيان، قسمه ثمانية فصول جاءت كما يلي:

- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: الخبر.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: الإيجاز.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: علم البيان.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: التشبيه.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: علم البديع.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: الجمع.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: التجنيس.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: القلب المستوي.

وسبق هذا الفصول الثانية ما يشبه أن يكون مدخلا بين يديها افتتحه بتعريف مصطلح: علم المعاني.

وقد تضمنت مجموعة هذه الفصول ما يقرب من خمسة وستين ومئة مصطلح جمعت ألفاظ علوم البلاغة جميعا.

وقد اكتفي هذا المعجم بتعريف مصطلحات البلاغة مستعملا طريقة التعريف بالمحكم الذي يتأسس على استجماع الخصائص أو السمات الدلالية الفارقة التي تميز كل مصطلح من غيره، من غير تمثيل، ولا شواهد.

لقد كشفت معالجة هذين المعجمين لمصطلحية البلاغة العربية أن تمدد الجهاز الاصطلاحي الحامل لمفاهيمها كان له الأثر الظاهر في تأسيس المعجمية العربية المختصة التراثية، وتعميق مسارتها، وهو ما ظهر في التصنيف الموضوعي أو العلمي لمجموعة مصطلحات البلاغة، وظهورها في حيز مجتمع في هذين المعجمين المختصين.

(٣/١/ج)

وقد اعتنت بقية معاجم المصطلحيات التي رتبت المداخل/ المصطلحات ترتيبا هجائيا بكثير جدا من مصطلحات علم البلاغة، موزعة على أبوابها وفق الترتيب الألفبائي، مقرونة في أبوابها بما يكشف عن مستوى استعمالها، وهو ما نراه في المعجمات التالية:

أ- التعريفات، للجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ.

ب- التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال المتوفى سنة ٣٤٠هـ.

ج- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، المتوفى سنة ١٠٣١هـ.

د- الكليات، للكفوي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ.

ه- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، المتوفى سنة ١١٥٨هـ.

و- جامع العلوم في اصطلاحات العلوم= دستور العلماء، للأحمد نكري، المتوفى سنة ١١٧٣هـ.

ومن أمثلة ما نشير إليه من إيراد المصطلحات في بابها من الحرف الهجائي مقرونا بما يدل على مستوى استعمالها، الكاشف عن انتمائها المعرفي لعلم البلاغة، ما جاء عند الجرجاني، في (التعريفات) [ص:٨١م ٣٦٨ رسم: التشبيه]، يقول: "التشبيه: في **اصطلاح علماء البيان**: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه؛ كالشجاعة في الأسد"!

وفي مثل ذلك يقول المناوي في: (التوقيف على مهمات التعاريف) [ص: ١٧٧ رسم: التشبيه]: "وهو **عند البيانين**".

وبهذا يظهر أن المعجمية العربية التراثية المختصة استجابت لمطالب الدرس البلاغي في التراث العربي بعد استقراره، واستقلاله، ونضوجه، وتمدده.

(٢/٣) استجابة المعجمية العربية المختصة المعاصرة لمطالب البلاغة العربية.

كان من ملامح رعاية مطالب خدمة البلاغة العربية ظهور معجمات مختصة بمصطلحيتها، وقد ظهر من منجز المعاصرين الذين صنعوا معاجم لمصطلحات البلاغة العربية وعي بأثر البلاغة في هذا الميلاد لهذه المعجمات، وعبروا عن أن استجابة المعجمية العربية المختصة المعاصرة كان بتأثير مباشر من إرادة خدمة الدرس البلاغي.

وقد ظهر معجمان كاملان استهدفا تحقيق هذه الخدمة، هما:

أ- معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة، الذي أصدره سنة ١٩٧٥م.

ب- معجم مصطلحات البلاغة وتطورها، للدكتور أحمد مطلوب الذي أصدره سنة ١٩٨١م. مسبوقا بمحاولة غير مكتملة بعنوان: مصطلحات بلاغية، صدرت في كتاب سنة ١٩٧١م.

(٣/٢/أ) وعي معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة بأبعاد الاستجابة لمطالب خدمة الدرس البلاغي:

لقد كشف تحليل مقدمة الدكتور بدوي طبانة التي صنعها لمعجم البلاغة العربية عن عدد من العلامات التي تعكس استجابة المعجمية المختصة المعاصرة لمطالب خدمة الدرس البلاغي.

وقد كشفت هذه المقدمة عن الدواعي وراء صناعة هذا المعجم وهي الدواعي والمطالب التي يمكن إجمالها في ما يلي:

أولا- تحقيق مقصد القيام بواجب العلم أو التخصص (المسئولية العلمية)، يقول الدكتور بدوي طبانة [ص:٧]: إنه تقدم إلى صناعة هذا المعجم بسبب من المسئولية العلمية التي يعبرها قائلا: "إننى رأيت من واجبي أو من حق العلم علي وحق التخصص أن أقدم على إنجازه".

ثانيا- الاستجابة لمطالب خدمة الدرس البلاغي، وتعميق فهم مسائله ومفاهيمه وتطورها. يقول الدكتور بدوي طبانة [ص:٧]: "ومن الحق أن أقرر أن الإقدام على تأليف... معجم جامع لفنون تلك الثقافة البلاغية عند العرب- كان عبئا ثقيلا، وكنت أول من يحس بفداحة هذا العبء، ويعد أثره في الحفاظ على هذا التراث".

ويقول [ص:٦]: "كنت أشعر دائما بأن ما أقدم عليه من محاولة إخراج معجم جامع لمصطلحات البلاغة العربية وأدواتها وفنونها ليس بالشيء اليسير، فلا يستطيع جهد واحد من المختصين أن يوفيه حقه كاملا إلا بعناية الله"، وكان ذلك منه بسبب: "الاعتقاد بفائدته المحققة التي يعيبها الوقوف على الأسلاف، والتراث على كل ما هو نافع، وأصيل فيه".

ثالثا- تحقيق مقصد التيسير على الدارسين، لقد ألمح الدكتور بدوي طبانة إلى أنه أقدم على صناعة هذا المعجم، تلبية للتغلب على: "المعاناة المتصلة" وهو ما دفعه إلى أن يقوم: "بهذا الواجب"!

رابعا- الاستجابة للفراغ في المكتبة البلاغية من جهة خدمة الجهاز الاصطلاحي، يقول الدكتور بدوي طبانة [ص:٩]: "وبقيت بعد ذلك (البلاغة العربية) من غير معجم يلم شمل فنونها، ويضم شتات مصطلحاتها التي كانت لها دلالات وضعية عند أصحاب اللغة الأولين، ثم جنح بها العرف البلاغي الخاص إلى تحديد المفهوم الخاص لكل دلالة من تلك الدلالات الوضعية لتصبح مصطلحا بلاغيا محدد المعنى واضح المفهوم".

ثم يقول [ص:١٠]: "بقيت البلاغة العربية من غير معجم حتى هذا الزمان وتلك الأسباب هي التي دفعتني إلى تأليف هذا المعجم منذ أحسست بفراغ مكانه في المكتبة العربية والحاجة الملحة إلى ملء هذا الفراغ منذ جنح التخصص العلمي إلى البحث البلاغي والنقد الأدبي منذ أكثر من ثلاثين عاما".

لقد اتضح من فحص هذه المقدمة التي كتبها الدكتور بدوي طبانة لمعجمه البلاغي كيف استجابت المعجمية المختصة المعاصرة لمطالب خدمة المفاهيم البلاغية بظهور هذا المعجم المختص بمصطلحيته جمعا، وترتيبا، وشرحا.

(٣/٢/ب) وعي معجم مصطلحات البلاغة وتطورها، للدكتور أحمد مطلوب بأبعاد الاستجابة لمطالب خدمة الدرس البلاغي:

كشف الدكتور أحمد مطلوب في مقدمة معجمه عن وعي بأبعاد الاستجابة لمطالب خدمة الدرس البلاغي، وأثرها في ظهور معجمه، وتتلخص علامات هذا الوعي بهذه الأبعاد في ما يلي:

أولا- معجم مصطلحات البلاغة طريق للدراسة العميقة لمسائل البلاغة وقضاياها ومفاهيمها:

يقول الدكتور أحمد مطلوب [ص:٧]: "البلاغة العربية ذات التاريخ العريق أحوج ما تكون إلى الدراسة العميقة، وسير اتجاهاتها لتصل إلى مرحلة تستشرف فيها مستقبلا زاهرا ينير معالم الطريق، وأول خطوة إلى التراث البلاغي- دراسة مصطلحاتها وتطورها وإبرازها بثوبها العربي الأصيل، ولن يتم ذلك إلا بوضع معجم يجمع جزئياتها، وينسقها في عرض تأريخي يظهر تطورها ويحدد معالمها". ففي هذا النقل يتضح أن وضع هذا المعجم جاء استجابة لمبدأ تعميق دراسة البلاغة في العصر الحديث.

ثانيا- إرادة تجديد الدرس البلاغي:

يقول الدكتور أحمد مطلوب [ص:١٠]: "ويذهب (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) إلى أبعد من ذلك- فهو يقدم للدارسين معرفة الجديد". ويقول قبل ذلك [ص:٧]: "والمجدد إن لم يصدر عن التراث يظل بعيدا عن الأصالة؛ لأن التجديد قتل القديم درسا".

وهذه الغاية تتحقق بتلبية مجموعة من الوظائف في هذا المعجم، من مثل:

أ- بيان تأثر اللاحقين بالسابقين من البلاغيين.

ب- تقريب فنون البلاغة وربطها بالنصوص.

ج- تيسير معرفة المصادر والمظان.

ثالثا- تحقيق مقصد التيسير على الباحثين:

لقد تكرر من الدكتور أحمد مطلوب في مقدمة معجمه البلاغي أن واحدا مما حكمه في صناعته هو التيسير على الباحثين، وتوفير مجهودهم وأوقاتهم، يقول [ص:١٠] بعد أن وضح بعضا من موائز المعجم: "وبذلك تسهل المراجعة وتكثر الفائدة من المصادر التي استقى المعجم منها مادته، وهي مصادر كثيرة يتصل بعضها بالبلاغة والنقد، ويرتبط بعضها بكتب الأدب والنوادر، وليس ذلك بقليل لمن يريد أن يكسب من الوقت ساعات يقضيها في النظر والتأمل والتدقيق والحكم". وهذا الفرض واضح التأثير جدا على عناصر المنهج التي اتبعها الدكتور أحمد مطلوب في ترتيب معجمه البلاغي.

رابعا- الاستجابة للنقص المستولي على المعجم العربي من جهة التأريخ:

لقد لمس الدكتور أحمد مطلوب النقص الواقع في المعجمية العربية من خلوها من معجم تأريخي، فتقدم بمحاولة [ص: ٩-١٠]: "أريد بها وضع معجم تأريخي لهذا الفن الذي لم ينضج ولم يحترق، وهو معجم يقوم على ترتيب الأنواع ترتيبا هجائيا لتسهل مراجعة النوع، وجمع أجزائه في مادة واحدة، والإشارة إليها إذا جاءت منفردة، وجمع الآراء المختلفة في الفن الواحد، لتسهل معرفة أول من بحث فيه، **وينتفع مؤرخ البلاغة،** ومن تعينه المقارنة بين الفنون عند العرب، وغيرهم من الأقدام... وارتباط مصطلحات البلاغة بالمتقدمين منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، واللغويين، والنحاة الأوائل".

من مجموع هذه الآراء التي سردها الدكتور أحمد مطلوب في مقدمة معجمه البلاغي يظهر أثر الاستجابة لمطالب الدرس البلاغي، وتجديده وتأريخ مسائله، وتطور قضاياه، ومفاهيمه في صناعة هذا المعجم البلاغي.

لقد كشف معجما الدكتور بدوي طبانة والدكتور أحمد مطلوب أن الاستجابة لمطالب الدرس البلاغي المتنوعة كانت حاسمة في تلبية المعجمية العربية المختصة المعاصرة لهذه المطالب بأعمال معجمية مختصة، لم يكن لها مثيل مطابق في القديم، وهي أعمال سعت إلى تحقيق ما يلي:

أ- استيعاب مصطلحات البلاغة العربية، فقد أورد الدكتور طبانة (٩٨١) مدخلا رئيسا وأورد الدكتور أحمد مطلوب نحو (١١٠٠) مدخل.

ب- التعريف الدقيق للمصطلحات البلاغية.

ج- ذكر المترادفات والمتداخلات مع كل مصطلح بلاغي.

د- التمثيل على المصطلحات بهدف توضيح التصورات والمفاهيم.

هـ- رعاية التطور التأريخي لكل مفهوم بلاغي.

و- العناية بالتوثيق تيسيرا على الباحثين، وتوفيرا للوقت والجهد.

إن هذين المعجمين كاشفان عن التأثير البلاغي في مسيرة المعجمية العربية المختصة المعاصرة.

(٤) أثر البلاغة في تطوير المعجمية العربية: آفاق المستقبل.

إن فحص أثر البلاغة في تطوير المعجمية العربية على مستويي التصنيف والوظائف كشف عما يمكن أن يكون مدخلا للآفاق المستقبلية.

إنني أتصور أن المستقبل في حاجة إلى تلبية الأنواع التالية من المعجمات البلاغية:

أولا- معاجم المجازات العربية:

ويمكن أن تمثل كتب مجازات القرآن، والمجازات النبوية، للشريف الرضي بداية مهمة على طريق إنجازها.

ثانيا- معاجم الاستعارات العربية.

ثالثا- معاجم التشبيهات العربية:

ويمكن أن تمثل كتب التشبيهات لابن أبي عون والتشبيهات للكتاني الطبيب وغيرهما البداية على طريق صناعتها.

رابعا- معاجم الكنايات العربية:

ويمكن أن تمثل كتب الكناية للثعالبي، والكنايات للقاضي الجرجاني، وغيرهما بداية على طريق إنجازها.

خامسا- معاجم الرموز:

وأقصد بها معجمات تجمع ما يمكن أن يكون صورا ورموزا تضيف أبعادا بلاغية تعين على تحليل النصوص، وتفسيرها.

سادسا- معاجم الإحالات الضمنية:

ويقصد بها المعاجم التي تجمع الاقتباسات الدائرة في النصوص المختلفة، وتفسيرها.

(٥) خاتمة:

عالج هذا البحث نقطة ضيقة تتعلق بفحص أثر البلاغة العربية في المعجمية على مستويي التصنيف والوظائف.

وتوصل إلى عدد من النتائج، هي:

١- ظهور تأثير للبلاغة العربية في المعجمية العامة والمختصة، طالت الاتجاهات والمدارس والتصنيف حتى العصر الحديث.

٢- ظهور تأثير للبلاغة العربية في المعجمية العامة على مستوى الوظائف المعجمية، ولا سيما في باب شرح المعنى، في مجال المعنى المجازي، والسياقي معا.

٣- ظهور الحاجة إلى إعادة النظر في التصنيف المعجمي، تبعا للاعتبارات، وتقترح هذه الورقة الاعتبارات التالية:

أولا- التصنيف وفق اعتبار منظور المستعمل (صوتية/ وأبنية/ وهجائية/ وموضوعية).

ثانيا- التصنيف وفق اعتبار طبيعة المادة اللغوية (معاجم عامة/ ومختصة).

ثالثا- التصنيف وفق اعتبار الوضع والاستعمال (معاجم لغوية/ ومعاجم استعمال).

رابعا- التصنيف وفق اعتبار الوظيفة المتوقعة.

خامسا- التنصيف وفق اعتبار ترتيب المداخل.

٤- كشف البحث عن ملامح تطور في تاريخ المعجمية، لم تستثمر الاستثمار الكافي فيما بعد.

٥- حاولت الورقة أن تفتح آفاقا نحو المستقبل، يمكن أن تمثل مسارات لتجليات تأثير البلاغة العربية في تطوير المعجمية العربية المعاصرة.

٦- كشفت الورقة عن بعض شعور في الدرس المعجمي المعاصر بهذا الأثر من دون تنميته، ومن دون استثماره معا.

٧- صممت هذه الورقة بعضا من الآراء في النظر إلى عدد من علاقات بعض المعاجم بالدرس الأدبي والبلاغي.

***

السفينة في المعجمية العربية
قراءة في آفاق القدرة والمرونة اللغوية

يمثل مشكل العلاقة بين العربية والمنجز الحضاري مفردة من مفردات البحث اللساني والمعجمي، يقع في الصميم من اهتماماته ومشاغله.

ومثل سلاحا من طرفي المتحيزين لكل فئة، من المنتصرين لضرورة تعريف العلوم، ومن المخاصمين للتعريب، المدافعين عن استيراد العلوم بوعائها اللساني الذي أنتجها!

وفي هذا البحث محاولة لفحص أبعاد القدرة والمرونة التي منحتها العربية لواحد من أظهر تجليات الحضارة المادية الجديدة على الحياة العربية، وهو حقل السفينة وألفاظه ومصطلحاته في اللسان العربي.

وسعيا إلى هذه الغاية يعالج هذا البحث المطالب التالية:

١- مدخل: البحر وجهة جديدة للعربي المسلم!

٢- السفينة في المعجم العربي: المدونة والعلاقات المعرفية:

(٢/١) المدونة (معجمات السفينة في العربية).

(٢/٢) علاقات السفينة المعرفية.

٣- مصطلح السفينة: قراءة في نتائج التأصيل اللغوي.

٤- مصطلح السفينة: أنماطه ودلالاته.

٥- آفاق استثمار البحث المعجمي في مصطلح السفينة.

إن أمثال هذه البحوث المعجمية تعي وضعها الذي يراوح مناطق البحث المعجمي، وعلم المصطلحات والسياسات اللغوية، وتاريخ اللغة.

وهو نوع من بحوث التحيز بالمعنى المنهجي الذي يتعاطف مع منجز هذه الحضارة، التي فجرها الكتاب العزيز!

وهو كذلك نوع من بحوث المعجمية التطبيقية والنظرية معًا الذي يمكن بوساطته فحص بعض الإشكالات التاريخية في المجال المعجمي، والإسهام في اتخاذ قرار سلبي أو إيجابي بشأنها، ولا سيما في ظل استمرار الجدل الدائر حول كثير منها إلى اليوم في الأوساط المتخاصمة فكريا/ أو أيدلوجيا في الأساس.

لقد بات واضحا أن "اللغة تقع في قلب هذا الصراع"[1] على هوية مصر على الأقل، وهو ما قد يكون صحيحا في كثير غيرها من بلدان المنطقة العربية.

ولعل اختيار هذه المناطق الجديدة من المعجمية بأبعادها النظرية (التاريخية) والتطبيقية من جانب والمشتبكة بعلم المصطلحات من جانب آخر تكون طريقا واضحة وناجزة لفحص كثير من المشكلات العالقة في هذا الباب.

(١) مدخل: البحر وجهة جديدة للعربى المسلم!

(١/١) خطاب التأسيس.

معلوم جيدا أن القرآن الكريم مثل نقطة تحول جوهري في تكوين العقل العربي في رؤية الكون والحياة من جوانبها جميعا.

لقد جاء ذكر القرآن الكريم للبحر متنوع التصريف، فكانت قائمة استخدامه لتصريفاته كما يلي[2]:

أ- بحر/ بالإفراد في ثلاث وثلاثين مرة (٣٣ مرة) (نكرة/ ومعرفة).

ب- بحران/ بالتثنية في خمس مرات (٥ مرات) (نكرة/ ومعرفة).

ج- بحار/ أبحر بالجمع ثلاث مرات (٣مرات) (٢ بحار/ ١ أبحر).

أي أن مجموع ما جاء هو إحدى وأربعون مرة (٤١ مرة) وقد أحاطت بها العلامات التالية:

---

(١) لغة مقدسة وناس عاديون: معضلات الثقافة والسياسية في مصر، لنيلوفر جائري، ترجمة عيدراوس ومراجعة مديحة دوس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، سنة ٢٠١١م. (١٦٩٢)، ص٢٥٨.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ص:١٤٠.

أولا- توزع استخدامها على القرآن المكي والمدني.

ثانيا- توزع استخدامها موضوعيا، بمعنى استخدامها في سياق الإخبار، والقصص، وفي سياق التذكير بنعمة الله، وفضله، وقدرته سبحانه، وفي سياق المستقبل تحذيرا من وعيد الله تعالى.

ثالثا- تنوع وظائف استخدامه، بمعنى أن الذكر الحكيم استخدم تصاريف البحر، إفرادا وتثنية وجمعا لتحقيق وظائف متنوعة من مثل:

أ- إثبات صدق الرسالة؛ الإنباء عن الغيب الماضي

ب- الدعوة إلى توحيد الله تعالى بالدلالة على براهين قدرته في البحار، وما يسيره فيها، وما يخرجه منها.

ج- التنويع في دعوة المخاطبين بالترغيب، والترهيب والإقناع.

د- إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته.

هـ- فتح آفاق للأمة للنهوض الحضاري بتوظيفهم للبحر، طريقا للنقل والمواصلات، ومصدرا للغذاء والثروة، ومجالا للتصنيع والطاقة... إلخ.

ثم إن طائفة من هذه الآيات التي جاءت في الكتاب العزيز وردت مقترنة بذكر ما يدل على السفينة، فقد جاء البحر مقترنا بما يلي:

أولا- البحر/ الجواري.

ثانيا- البحر/ السفينة.

ثالثا- البحر/ الفلك.

وإليك قائمة هذه الاستخدامات:

أولا- البحر/ الفلك (=السفن).

وقد جاء الاقتران بين البحر والفلك أكثر علاقات الاقتران الثلاثة تكرارا في المواضع التالية:

- سورة البقرة ٢/١٦٤: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾.

- سورة إبراهيم ١٤/٣٠: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾.

- سورة الإسراء ١٧/٦٦: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

- سورة الحج ٢٢/٦٥: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾.

- سورة لقمان ٣١/٣١: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾.

ثانيا- البحر/ الجواري (السفن).

وقد جاء الاقتران بين البحر والجواري في المرتبة الثانية من جهة الاستخدام كما يلي:

- سورة الشورى ٤٢/٣٢: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾.

- سورة الرحمن ٥٥/٢٤: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾.

ثالثا- البحر/ السفينة.

جاءت العلاقة (البحر/ السفينة) في المرتبة الأخيرة إحصائيا، في موضع واحد هو قوله تعالى:

- سورة الكهف ١٨/٧٩: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾.

وثمة علاقة أخرى بين البحر/ والسفينة، لكنها علاقة تضمينية؛ أي لم يصرح فيها بلفظة (الفلك/ أو الجواري/ أو السفينة)، ولكنها متضمنة في سياق الآيات في المواضع التالية:

- سورة المائدة ٥/٩٦: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ ولا يكون الصيد بغير مركب.

- سورة الأنعام ٦/٦٣: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ولا تكون النجاة من ظلمات البحر إلا بعد ركوبه.

- سورة الأنعام ٦/٩٧: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾.

- سورة يونس ١٠/٢٢: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ والسير في البحر يلزمه سفينة!

- سورة النحل ١٦/١٤: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ ولا يكون الأكل من لحم البحر إلا بعد الصيد، ولا يكون إلا بعد ركوبه.

ففي هذه المواضع جميعا قرائن تفرض حضور الفلك أو الجواري أو السفينة بما هي أدوات السير والصيد في البحر.

إن هذا الاستخدام لأنواع السفن المتضمنة في الآيات والمستنبطة بحكم تنوع الأوصاف والقرائن اللفظية والعقلية المطيفة بها قاطعة في أن العرب كانوا على معرفة بالبحر، وركوبه وسفنه ولو تاريخيا!

وهو الأمر الذي استثمره الكتاب العزيز في اتجاهات كثيرة خادمة لفكرته الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية الحضارية.

(٢/١)

من جانب آخر فإن فحص ما ورد في السنة المشرفة مما يتعلق بالبحر يلمس نوعا من اتساع آفاق النظر إليه في وجهة العقل العربي المسلم؛ فقد وقف الفقهاء أمام مجموعة الأحاديث واستنبطوا منها أبوابا كاملة تفضي إلى هذا الذي نذهب إليه ومما يمكن التنبه إليه في هذا السياق ما يلي:

أولا- حل ما يلقيه البحر من طعام.

ثانيا- إحلال غزو البحر، وما يتعلق به من شهيد البحر، وثوابه.

ثالثا- شيوع النظر إليه بابا لتقدير عظمة الله تعالى، واستطالة قدرته سبحانه.

إن مراجعة السنة في هذه المحاور مهم جدا؛ لتكملة بيان ما نفذ منها ومن الكتاب العزيز إلى بنية الثقافة العربية، واستقر فيها من النظر إلى البحر وما نشأ بسبب من صناعات حضارية تتعلق بمعجم السفينة.

وسنعتمد ما ورد في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لفنسنك[1] في بيان أمثلة الأحاديث الكاشفة عن هذه المحاور:

أولا- البحر/ الطعام:

"البحر الطهور ماؤه، الحل ميتته".

"كانا لا يريان بما لفظ البحر بأسا".

ويستفاد من مثلها حل طعام صيد البحر، وما تلقيه من أرزاقها، وأسماكها.

ثانيا- البحر/ الجهاد:

"لا يركبون ثبج هذا البحر".

"فغزا في البحر فحملها معه".

"غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر".

"المائد في البحر كالمتشمط في دمه في البر".

ثالثا- البحر/ دليل عظمة الله وقدرته:

"حطت عنه خطاياه، وإن كان مثل زبد البحر".

"أمر الله البحر فجمع ما فيه".

"حلف بالله الذي فلق البحر لموسى".

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لفنسنك، مكتبة بريل، مدينة ليدن، سنة ١٩٣٦م، (١/ ١٤٤ وما بعدها).

ويستفاد منها تقدير الصفات الإلهية من باب هيمنته سبحانه على البحر في التصور الثقافي العربي المدعوم بالأخبار والتاريخ والمشاهدات.

وتتشعب العلاقات التي تدخل السفينة والفلك طرفا بدرجة أكبر مما هي عليه في العلاقات التي ظهرت من فحص آيات الكتاب العزيز، وهو أمر منطقي له ما يسوغه لأن السنة المشرفة هي النص المفسر، الموضح للذكر الحكيم.

وفحص هذه العلاقات كاشفة عن أبعاد الوجهة الجديدة التي نزلت في العقل المسلم بسبب روح الإسلام، ومما يظهر من نصوص الأحاديث ما يلي[1]:

أ- السفينة/ النجاة: "السفينة نجاة".

ب- السفينة/ زيادة الأجر: "لكم أنتم أهل السفينة هجرتان".

ج- السفينة/ الحضارة: "إنها يطلى بها السفن".

"كأنه جمالات صفر حياة السفن".

د- السفينة/ التجارة والنقل: "أن ركبنا في سفينة بحرية".

"حمل معه في سفينة"

ومن هذه الحقول الأربعة الفرعية يظهر أن السفينة دخلت في علاقات كاشفة عن حضور ثقافي وحضاري في بنية العقل العربي، زاد وتشعب بفضل تفاعله مع بقية الخصائص العمرانية والحضارية التي مثلت جزءًا جوهريًّا من مقاصد الشريعة الإسلامية.

إن أي دراسة لفيلولوجيا السفينة في الثقافة والمعجمية العربية، لا يمكن تجاوز ما أحله الكتاب العزيز والسنة المشرفة في بنيتهما بأي حال من الأحوال. وهذه النتيجة ظاهرة جدا

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٢/ ٤٧٥) و(٣/ ١٩٨).

من مجموع ما تكشف من تحليل العلاقات التي دخلت فيها السفينة في هذين النصين الجليلين معا.

صحيح أن المتأمل لا يعدم أمثلة لحضور البحر/ السفينة في مدونة النصوص العربية القديمة الجاهلية لكن هذا الحضور لا يمكن أن يقارن بما أحدثه التصور الإسلامي من خلال الكتاب العزيز والأحاديث النبوية المشرفة في العقل العربي من تمدد لهذا الحضور، أصاب مناطق واسعة جدًّا وعمقها، لدرجة وصلت بالحضارة الإسلامية في زمان ما أن يكونوا سادة البحار بلا منازع على الرغم من عراقة كثير من الأمم الأخرى في علاقتها بالبحر/ السفينة في التاريخ الإنساني.

إن التذرع بفيلولوجيا البحر وعلائقه وسيلة معروفة في كثير من المجالات المعرفية الاجتماعية وغيرها على ما نرى مثلا في صنيع بريدراج ماتفيسجيفتش عندما لاذ بالمعجم ليكتب جزءًا من تاريخ البحر المتوسط في تراتيل متوسطية[1].

(٢) السفينة في المعجم العرب: المدونة والعلاقات المعرفية.

اتضح من تحليل حضور البحر/ السفينة في خطاب التأسيس أن هذا الحضور يتجاوز الحدود الأولية، إلى عدد من العلاقات المهمة في بنية الثقافة العربية، وأتاح لها الكتاب العزيز والسنة المشرفة تمددا وتشعبا ظاهرين.

وفي هذه النقطة من البحث نقف أمام: السفينة في المعجمية العربية مستهدفين الكشف عن حدود المدونة، وأشكال العناية بها.

---

(١) انظر: تراتيل متوسطية، لبريدراج ماتفيجيفتش، ترجمة عبد الجليل ناظم، وسعيد الحفصالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٧م (ص:١٣٩)؛ حيث يقول: "يمكننا الكشف عن مجموعة من الأشياء والكلمات ووجهات النظر والمواقف وإن أدبيات الملاحة تعرف كثيرا من أنواع المصطلحات المرتبطة بمختلف الميادين، وكل من يحاول الكتابة عن البحر المتوسط يلتجئ إليها"! ويقرر أن معجم البحر والملاحة أصابه ما يصيب غيره من التطور الدلالي؛ فيقول (١٩٤ في فصل المعجم من الكتاب): "لقد غير الزمن معنى كثير من الكلمات المتعلقة بالملاحة والبحر، كما غير كثيرا من الكلمات الأخرى"!

(١/٢) السفينة في المعجم العربي: المدونة.

ومقصودنا بالمدونة هنا الأشكال المادية التي ظهر من خلالها العناية بجمع ألفاظ السفينة في العربية، وهي ما نرى أنها صالحة لأن تتوزع على مرحلتين، بمفهوم التصنيف، لا بمفهوم المرحلة التاريخية؛ هما:

(١/١/٢) السفينة في المعجم العربي: مدونة ما قبل الاستقلال.

(٢/١/٢) السفينة في المعجم العربي: مدونة الاستقلال (معجمات السفينة).

لقد كان مدهشا تغطية مساحة كبيرة من ألفاظ معجم السفينة في مصادر لغوية وغير لغوية في تاريخ التأليف في الحضارة العربية بتأثير الإسلام.

(١/١/٢) السفينة في المعجم العربي: مدونة ما قبل الاستقلال.

في هذه النقطة نحاول أن نثبت أن المعجمية العربية– في تاريخ متقدم– تنبهت إلى جدارة السفينة، بما هي موضوع، بالعناية، والرعاية وربما كان كافيا في هذا السياق التدليل بعدد قليل من الأمثلة الكاشفة.

أولا– ولعل الذهاب إلى معاجم الموضوعات يكون نقطة تمثيل صالحة لما نقرره من علامات هذه العناية التي منحتها المعجمية العربية قديما لألفاظ هذا الحقل، وفي هذا الصدد يقابلنا أهم معجمات هذا النوع، وهو:

– المخصص، لعلي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، إذ أفرد فصلا (حقلا) للسفينة (ق٣) ١٠/٢٣-٢٩؛ وفصلا (حقلا) آخر بعده بعنوان: ما يشبه السفينة (ق٣) ١/٢٩؛ ومن الجديد بالذكر أنهما جاء تاليين لباب البحر ونعوته وجزره وأسماء ساحله وما فيه من الحيتان والملاحظة البيئية التي تلوح من تحليل هذا الترتيب هي وضوح العلاقة الدلالية، والمعرفية بين البحر/ والسفينة؛ في تطبيقات المعجمية العربية، كما نرى في هذا النموذج.

وتحليل مادة هذين الحقلين يلحظ أن المعجمي العربي كان واعيا بمجموعة الحقول الفرعية المنضوية تحت حقل السفينة، وقد ضم ما يلي:

أ- ألفاظ السفينة (حقل علوي).

ب- ألفاظ أسماء أجزاء السفينة، ومكوناتها.

ج- ألفاظ أسماء الملاحين العاملين على السفينة.

د- ألفاظ أسماء ما يلحق بالسفن مما يجري في البحر مما هو دون السفينة.

ه- ألفاظ أسماء بعض الأدوات المستعملة في صناعة السفينة.

كما يكشف تحليل شروح المداخل أمورا مهمة جدا تختص بعدد من المجالات الحضارية من مثل:

أ- صناعة السفن (الإجراءات العملية).

ب- قواعد تصنيع السفن.

ج- مهارات الصناع، وما تحصل لهم من تجارب السنين في البحر.

د- مراكز تصنيع السفن في الجزيرة العربية، من خلال تسمية كثير من السفن بنسبتها إلى أماكن صناعتها، كالعدولية؛ المنسوبة إلى: عدولي بالبحرين.

هـ- تنوع السفن تبعا لتنوع الوظائف (كالصيد والقتال... إلخ).

و- تنوع السفن تبعا للأوضاع الاقتصادية في الأقاليم البحرية (سفن/ وأشباه سفن).

ز- بعض العادات الاجتماعية والتاريخية المبثوثة في بعض التعليقات على معنى بعض المداخل.

إن تحليل ما أورده ابن سيده في المخصص كاشف عن بعض عناية قديمة بمعجمية السفينة، ظهرت في إطار تطبيقات المعجم العام وهو الأمر الذي ينبئ عن أهمية معالجته في هذا المجال.

ثانيا- ولعل التفكير المنطقي يفرض علينا فحص مجالين معرفيين يغلب الظن على عنايتهما بمعجمية السفينة بوجه خاص، وهما:

أ- مجال الكتابة في الرحلات (أدب الرحلات).

ب- مجال الكتابة في التاريخ (تاريخ الشعوب والأحداث المرتبطة بالبحر).

ذلك أن هذين المجالين يظهران عناية خاصة بسبب طبيعة البناء المعرفي لهما وهو باب واسع يحتاج نوع تتبع، وجمع وفحص وتحليل.

وتعد المقدمة التي صنعها: هانس كندرمان عن مصادر دراسة معجمية السفينة في كتابه (مصطلح السفينة عند العرب) خطوة جيدة في هذا الباب[1].

ومن المصادر المهمة التي أشار إليها كندرمان: (كتاب قوانين الدواوين) لابن مماتى المتوفى ٦٠٦هـ.

وقد جاءت عناية ابن مماتي بقائمة أسماء السفن التي ذكرها، بسبب ما أرداه الرجل لكتابه أن يكون في التاريخ الإداري والزراعي للدولة المصرية في عصره (الدولة الأيوبية)، فصنع فصلا للأسطول المنصور(ص٣٣٩)، يقول في مفتتحه "وهو الآن يجري في جيش المصريين، وسنذكر... أسماء مراكبه"[2].

صحيح أن القائمة التي ذكرها الوزير الأسعد بن مماتي تعد من القوائم المعجمية القصيرة، لكنها مهمة من أكثر من جانب:

أ- هي في سياق الغرض الذي سبقت من أجله في تحليل تكوين الجيش المصرى في مرحلة تاريخية قديمة.

ب- هي مهمة لأنها تختص بنوع بعينه من السفن، هي السفن الحربية.

ج- هي مهمة لأنها تكشف عن وظائف مختلفة للسفن في المجال الحربي، فمنها سفن للمقذوفات، ومنها سفن لحمل الدواب والخيل، ومنها سفن لحمل المؤن، والأزداد... إلخ.

---

(١) انظر: مصطلح السفينة عند العرب، لهانس كندرمان، ترجمة نجم عبد الله مصطفي، المجمع الثقافي، بأبي ظبي، الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٤٣٢هـ=٢٠٠٢م (ص١١-١٨).

(٢) كتاب قوانين الدواوين، لابن مماتي، تحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية، وإشراف الأمير عمر طوسون، مصورة مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م (ص٣٣٩-٣٤٠).

وقد ضمت قائمة ابن مماتى ثمانية مداخل (=أسماء سفن)، وكانت طريقة شرحها معتمدة على بيان وظائفها؛ أي أن السمات الدلالية الفارقة التي تميز كل سفينة عن غيرها ظهر من بيان أمرين هما:

أ- وظيفة نوع كل سفينة.

ب- تكوين السفينة، وحجمها.

من هذين النموذجين يتضح لنا أن التراث العربي المعجمي العام وغيره من مجالات أخرى يضم ألفاظا كثيرة جدًّا للسفينة، تحتاج إلى التتبع، والجمع، والتنظيم، والتحليل، وهي صالحة لأن تخدم قطاعات علمية كثيرة تتعلق بتاريخ الحضارة العربية.

ولن تكون الثمرة المرجوة مقيدة إلا بعد توافر البحث على دراسة مصادر أسماء السفينة في اللسان العربي، وجمعها، وتدوين الملاحظات اللغوية (التأصيلية) والتاريخية، والحضارية عليها.

وبحث المصادر هذه مهم جدًّا، ما يزال يشهد قصورا ظاهرا في الأدبيات التي عالجت الموضوع إلى الآن!

(٢/١/٢) السفينة في المعجم العربي: مدونة الاستقلال (المعجمات المستقلة).

أظهرت دراسة مصادر أسماء السفن في العربية تنوع مجالاتها المعرفية، وقد مر في مطلب سابق بيان ملامح العناية بمعجمية السفينة في العربية في منطقتين معرفيتين. وأشرنا إلى عدد آخر من المظان التي يمكن أن تمثل منطقة خصيبة لمن يروم دراسة ألفاظ السفينة في العربية وأسمائها.

وقد تأخر استقلال التصنيف في أسماء السفن في العربية حتى العصر الحديث، وقد سبق التقليد الاستشراقى التقليد العربي في العناية بالتصنيف المستقل في معجمية السفينة في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد وصلت إلينا المصنفات المعجمية التالية في هذا الباب:

أولا- في التقاليد الاستشراقية:

- **١٦٣٤م /هانس كندرمان= مصطلح السفينة عند العرب.**

وعنوانه بالألمانية:

Schiff im Arabischen untersuchung uber vorkommen und Bedeutung der Termini, Zwickau,1934.

وترجمته كما نقلها الصديق الدكتور/ رضا الدقيقي: السفينة في البحث العربي: دراسة عن دلالة المصطلح ومعناه، دار النشر: تسفيكا، بدن ١٩٣٤م.

ثانيا- في التقاليد العربية:

أ- ١٩٦٧م/ الدكتور جمال الدين الشيال=

"معجم السفن العربية، وهو مجموعة بطاقات وجزازات مخطوطة، كانت محفوظة بمكتب سكرتارية السيد وكيل (نائب رئيس) جامعة الإسكندرية للبحوث والدراسات العليا"[1] وقد ضمنها درويش النخيل كتابه عن السفن الإسلامية على حروف المعجم.

ب-١٩٧٤م/ الأستاذ درويش النخيلي/=

السفن الإسلامية على حروف المعجم، طبعة جامعة الإسكندرية، سنة ١٩٧٤م.

وفي ما يلي دراسة للبنيتين الكبرى والصغرى لهذين المعجمين؛ معجم كندرمان ومعجم النخيلي:

(١/٢/٢) ١٩٣٤م/هانس كندرمان= مصطلح السفينة عند العرب.

صدر هذا المعجم أولا بالألمانية ١٩٣٤م، ثم ترجمه: نجم عبد الله مصطفي، ونشره المجمع الثقافي، بأبي ظبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة، سنة ٢٠٠٢م، يقول في تقييمه درويش النخيلي في مقدمة معجمه عن السفن الإسلامية: "وتجدر الإشارة هنا إلى واحد

(١) السفن الإسلامية على حروف المعجم، لدرويش النخيلي، طبعة جامعة الإسكندرية، سنة ١٩٧٤م، (ص١٧١).

من الأعمال الممتازة التي أخرجها المستشرق الألماني كندرمان Kindermann وهو كتابه: Schiffim Arabischen فهو يعد من أهم–إن لم يكن أعظم- المراجع الحديثة التي يعول عليها كل من يكتب في هذا الموضوع".

وفحص هذا العمل يكشف عن بنائه المكون من ثلاثة أقسام هي:

أولا- البنية الكبرى:

أ- المقدمة.

ب- المعجم (مرتب ألفبائيا).

ج- الملاحق والكشافات (=الفهارس).

وفي ما يلي تحليل لما ورد في هذه الأقسام الثلاثة:

(أ) المقدمة:

ضمت مقدمة هذا العمل كلمة عن أهمية هذا النوع من الأعمال المعجمية، وكلمة عن المحاولات الغربية المتماسة مع موضوع المعجم، من مثل أعمال:

- برنو___البحر.

- بارتولد_____القرآن والبحر.

وغير ذلك من مقالات مختصة بتاريخ الملاحة عند العرب، لفستنفيلد وجويدي وغيرهما. ويشير إلى أهمية دراسات التعريب التي اعتنت بالألفاظ الأعجمية في العربية.

ثم بين أنه رتب مداخل معجمه وفق الترتيب الألفبائي، وإن لم يهمل استثمار العلاقات الاشتقاقية التي بين الكلمات في بعض الأحيان (ص:٩)، وقد حرص على مساعدة المستعمل الأجنبي، فنقل له النطق بالتمثيل الصوتي، أو الكتابة الصوتية.

وفي إطار المقدمة خصص كندرمان مقالة أو مطلبا لمراجع الدراسة، وقف فيها وقفة طويلة متأنية فاحصة، جمع فيها المحاولات التي سبقته، واعتنت بأسماء السفينة في اللسان العربي، وكان مما أشار إليه من الأعمال الغربية:

- مقالة فستنفيلد ١٨٨٠م: أسماء السفن في العربية، وكشف عن مصادره في بناء هذه المقالة (ص١١).
- مقالة جلدمايستر ١٨٨٢م: حول السفن العربية، وهي تكملة لما سبقها.
- دي خويه، وقد اعتمد على المقدسي في صناعة قائمته.

أما المصادر العربية فأشار إلى ما يلي:

ابن سيده سنة ٤٥٨هـ=١٠٦٦م في كتابه المخصص، وقد مر هنا التوقف أمام هذا المصدر.

ابن مماتي سنة ٦٠٦هـ=١٢٠٩م في كتابه قوانين الدواوين وقد مر هنا التوقف أمام هذا المصدر.

ثم ختم المقدمة بمقالة بعنوان: طريقة البحث وخطته، وقرر أن "الفكرة الرئيسة عند ترتيب مجموعة الكلمات التي تدل على السفينة ليس فقط جمعها من مراجعها، بل إعطاء فكرة عن تطور معناها التاريخي".

ويقول في سبيل بيان هذا (ص:١٩): "عملت على الاستفادة الكاملة للكلمة لمعرفة تحديداتها من حيث المعنى... إذ إنه من المهم معرفة زمن ومكان ظهور كل نوع من السفن، وكيفية صنعها، ومظهرها، ومن قام بصنعها، لأي غرض".

وهذا الأمر يتجاوز بكتابه حدود المعجم بمفهومه التقليدي إلى نمط من الأعمال المعجمية الموسوعية التأريخية معًا.

ويعلل ذلك بقوله: "إن عدم العناية بهذه المسائل البديهية يؤدي طبيعيا إلى عدم الالتفات إلى تطور مفهوم الكلمة، وبالتالي معناها، وكذلك علاقة المعاني المختلفة مع بعضها الآخر التي جمعها مجرد معجم ما عن طريق الصدفة".

ومن هنا يظهر أن خطة بحث كندرمان كما تظهر من مقدمته تدور حول العناية بما يلي:

١- شرح معاني ألفاظ السفن.

٢- بيان المعلومات التأريخية حول السفن.

٣- بيان المعلومات الموسوعية حول السفن.

٤- بيان العلاقات الاشتقاقية التي تتعلق بأسماء السفن في العربية.

(ب) نص المعجم:

جاء نص المعجم، أو جسمه بعد المقدمة، ورتبت أسماء السفن فيه ترتيبا ألفبائيا مشرقيا، وفق شكل الكلمة النهائي المستعمل من غير رد إلى الجذور.

ولكن المعجم يستطرد عندما تترابط مجموعة نوعية من السفن دلاليا بالاسم الذي يعلق عليه؛ ففي تعريفه للمدخل (أسطول) استطرد فذكر أفروطة/ ورمادة/ وعمارة/ ودوننما/ وشون/ ومراكب.

والعجيب أن لا يذكرها في مظانها من الترتيب الألفبائي!

وهذا أمر غير تيسيري، ويفوت النفع على من لا يدرك العلاقات الدلالية فيما بينها، وكان من المهم ذكرها في مظانها مع الإحالة على المواضع التي ورد فيها التعليق عليها!

وقد تكرر من كندرمان ذلك في المداخل التالية:

- بركة (براكية/ وبرشة/ وباكوا).
- بطيل (مطيال/ بنيل).
- جنك (زنك).
- جلابية (عسبية/ جسارية/ الكشترى).
- حرمية (مركب حمال).
- خولة (رباب).
- دقل (سكان).
- دونى (دنجى/ دانوق).

- ذهبية (دهبية).

- زواريق (زراريق).

وثمة مواضع أخرى ترد تصديقا لهذا الملحظ.

ومن جانب آخر شكلي ولكنه مهم، فقد وقع سهو في تحرير المداخل التي التزم فيها محرر المعجم ومحرر الترجمة كتابة المداخل بحجم طباعي غليظ، فقد جاءت مجموعة من المداخل مكتوبة بخط عادي من دون تغليظ، وهو ما قد يفوت أيضا بعض المنافع، نرى ذلك في المداخل التالية (ساعية ص١٢٣).

(ج) الملاحق:

بعد الانتهاء من المعجم ألحق كندرمان مجموعة من الملاحق الإضافية، وهو تقليد استشراقي عريق، تمدد في ثلاثة اتجاهات هي:

أ- اتجاه الكتب المحققة (النشرات النقدية للنصوص التراثية).

ب- اتجاه ترجمة النصوص التراثية.

ج- اتجاه التصنيف المعجمي المختص.

وقد ضمت هذه الملاحق مجموعة من التعليقات والمباحث القصيرة حول ما يلي:

أولا- عدد من المداخل من مثل: الأسطول/ والسفينة/ وسنبوك/ وعربة/ وغراب/ وما شوه، وهي تعليقات تتعلق في الغالب بمعلومات تأصيلية وتأريخية.

ثانيا- محاولة تسعى للتفريق بين الكلمات الأعجمية والكلمات العربية من خلال الفحص التاريخي، والحضاري والتأصيل اللغوي المعتمد على معطيات الصوتيات والأبنية.

(د) الكشافات (=الفهارس):

ختم كندرمان كتابه (على ما يظهر من الترجمة) بكشافين (أو فهرسين) اثنين فقط هما:

أ- كشاف= (فهرس الكلمات).

ب- كشاف= (فهرس المراجع).

والكشاف الأول الخاص بالكلمات مهم جدًّا للمستعمل المعاصر من أكثر من جانب، إذ يعين في يسر على الوصول إلى الكلمة التي يمكن أن تمثل شغلا للباحثين، فضلا عن أنها تعالج النقص الحاصل منه جهة الاستطراد بإيراد ألفاظ في غير مظانها من الترتيب، نظر لورودها مع غيرها لعلاقات دلالية تجمعها معها.

ثانيا- البنية الصغرى للمعجم.

بدا من تحليل البنية الكبرى للمعجم أن كندرمان كان حريصا على تطبيقات النظام الألفبائي غير الجذري (الذي يراعى ترتيب الكلمات وفق صيغتها النهائية المستعملة)، وقد طبق هذا النظام خارجيا (أو باب الألف والباء والتاء... إلخ)، وداخليا؛ أي التزمه في داخل كل باب (فصول الثواني والثوالث... إلخ).

وقد كشف تحليل معلومتنا ما تحت المداخل عن حرص كندرمان على العناية بعدد من المعلومات الموزعة على نوعين هما:

أ- معلومات الشكل، والصيغة.

ب- معلومات المعنى، والمضمون.

وفي ما يلي تحليل لطائفة من النماذج تكشف عن ملامح عنايته بمعلومات البنية الصغرى الموزعة على معلومات التعليق على الشكل ومعلومات التعليق على المعنى:

١- أسطول، يفتح كندرمان معجمه بالمدخل (أسطول ص ٢٣)، معلقا عليها بعدد من معلومات الشكل والمعنى كما يلي:

أ- جمعها أساطيل/ وتنطق(صطول أيضا) وأورد أن (أسطول) تستعمل بمعنى الجمع.

ب- اختلف في أصلها على قولين (عربية/ إغريقية) معناها: المراكب الحربية المجتمعة.

ومن فحص هذا المثال نرى أن كندرمان اعتنى في التعليق على المدخل بالمعلومات التالية:

- معلومات الهجاء والنطق، "وتنطق: صطول أيضا".

- معلومات صرفية، إذ ذكر أنها تستعمل: مفردة، وتستعمل فتعنى الجمع؛ ولعل ذلك راجع إلى أن الأسطول بطبيعته مجتمع من المراكب الحربية.

- معلومات الاشتقاق والتأصيل، إذ أورد قولين، بعربيتها، وإغريقيتها، وهو أمر مهم في السياق الحضاري.

- ذكر تعريفها. وهو أهم معلومات التعليق على المعنى.

- ذكر بعضا من المعاني التي ظهرت واختصت بها بعض البيئات، وهو ما يخدم الإحاطة بمستويات الاستعمال للكلمة.

٢- تكنة، أورد كندرمان المدخل (تكنة ص٦٠) وعلق عليها بمجموع التعليقات التالية:

أ- معلومات المعنى؛ التعريف (هي سفينة نقليات في البصرة وبغداد وما يجاورهما)؛ أي أنها مركب نقل محلية نهرية (وهي جسم سفينة من دون صارية أو شراع) (يتردد ذكرها في كتب الرحلات: وتصنع من شجر النخيل والقوت، وتستعمل في نهر الفرات، وتطلى بقار كثيف، وهي طويلة وعريضة، وتحمل في حدود ألفي قنطار (القنطار= ٥٠٠ كجم) وبها حجرتان صغيرتان للبحارة مع صارية واحدة وستة مجاذيف/ وذكر بعض الرحالة: أنها سفينة حربية صغيرة، بأرضية مستوية.

- قرر أن أصلها تركي.

ب- معلومات الشكل، ذكر أن بعض من ذكرها قال إن التاء أصلها دال، وتحولت صوتيا.

من تحليل هذين النموذجين يتضح لنا ما يلي:

أولا- وعي كندرمان بطبيعة ما ينبغي ذكره من معلومات ما تحت المداخل، مما له أثره في بيان معنى نوع السفينة موضع التعليق.

ثانيا-عدم الانتظام في إيراد معلومات ما تحت المداخل، فثمة اضطراب يتعلق بنوعي المعلومات؛ حيث يفتتح التعليق أحيانا بمعلومات الشكل، منتهيا بمعلومات التعليق على المعنى، وفي أحيان أخرى يكون العكس فيبدأ بمعلومات التعليق على المعنى منتهيا بمعلومات التعليق على الشكل، أو نقلا من بعضها لبعضها، كما ظهر في المثالين السابقين.

ثالثا- ثمة رعاية لما يمكن أن يسهم في المعلومات التاريخية والحضارية، تظهر من رعاية وظيفة السفينة، وحجمها، ومادة تصنيعها، وشكلها... إلخ.

رابعا- العناية بمعلومات التأصيل اللغوي، إذ كان حريصا على بيان الأصل اللغوي الذي تنحدر منه أسماء السفن المذكورة في المعجم.

ولمعلومات التأصيل هنا أهمية خاصة؛ لأنها كاشفة عن العلاقات التاريخية بين العرب وغيرهم، وعن العلاقات التجارية والاقتصادية مع العالم، وعن كثير من ملامح التاريخ الاجتماعي المحلي لعدد من الحواضر العربية... إلخ.

(٢/١/٢) ١٩٧٤م/ درويش النخيلي= السفن الإسلامية على حروف المعجم.

صدر هذا المعجم سنة ١٩٧٤م عن جامعة الإسكندرية بمناسبة اعتزامها إصدار كتاب يؤرخ لتاريخ التجربة المصرية على امتداد العصور.

وكان الأمر موكلا إلى الدكتور جمال الدين الشيال الذي ابتدأ العمل، ثم لحق بربه الكريم سنة ١٩٦٧م وخلف وراءه عددا من البطاقات، اعتمدها الأستاذ درويش النخيلي مصدرا من مصادر معجمه هذا.

وسنقف في فحص هذا المعجم عند أقسامه التالية:

أ- المقدمة.

ب- النص (نص المعجم).

ج- الكشافات (فهارس المعجم).

(أ) المقدمة:

افتتح درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم بمقدمة تضمنت ما يلي:

أولا- ظروف الدعوة إلى إنجازه، إذ يكشف أنه صنع ليكون ملحقا لكتاب ضخم يؤرخ للبحرية المصرية دعت إليه، وكلفت به ورعته جامعة الإسكندرية (ص١ من المقدمة) و"وارتأت أن يلحق بهذا الكتاب معجم يتناول دراسة منفصلة لأنواع السفن التي عرفها العالم الإسلامي".

وقد مر هذا المعجم بمرحلتين هما:

الأولى- مرحلة البدء، شرع فيها الدكتور جمال الدين الشيال المتوفى سنة ١٩٦٧م، "وجمع بعض مواد هذا المعجم في بطاقات" ولم يكمل الرجل ما بدأه؛ إذ لحق بربه الكريم في الثاني من نوفمبر سنة ١٩٦٧م.

الأخيرة- مرحلة الإتمام، أتمها الأستاذ درويش النخيلي، إذ كلفته "اللجنة المشكلة بجامعة الإسكندرية بأن(يشرع) في ما لم يبدأ فيه... الراحل ليخرج الملحق الخاص بالسفن بالصورة العلمية المناسبة" وأمدته بالبطاقات التي سبق أن جمعها الدكتور جمال الدين الشيال.

وقد كشف النخيلي عن مصادره التي اعتمدها في إنجاز هذا العمل، وتمثلت في ما يلي:

١- بطاقات الدكتور جمال الدين الشيال التي كان جمعها قبل وفاته؛ يقول: "رأيت أن يكون عنوان الكتاب هو: السفن الإسلامية على حروف المعجم... على أن يكون: معجم السفن العربية، المخطوط (للدكتور جمال الدين الشيال) واحدا من المراجع التي رجعت إليها في تأليف هذا الكتاب".

٢- كتاب هانز كندرمان، عن السفينة في اللغة العربية الذي سبق الكلام عنه هنا في هذه المقالة.

٣- مجموعة من المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية وكتب الرحلات والمعجمات ودواوين الشعراء وغيرها، أحال عليها في قائمة المراجع.

ومن جانب آخر فقد سكت النخيلي عن أمور مهمة هي: -

١- بيان منهج المعجم، وترتيب مداخله.

٢- إرشادات استعمال المعجم.

٣- أنواع المعلومات المذكورة في المعجم.

٤- ترتيب المعلومات المذكورة تحت كل مدخل.

ولعله سكت عن بيان طريقة الترتيب اكتفاء بما ورد في عنوانه من أنه على حروف المعجم!

(ب) نص المعجم:

جاء المعجم (السفن الإسلامية على حروف المعجم) مرتبا على النظام الألفبائي الذي يراعي شكل الكلمة النهائي في الاستعمال؛ أي من دون اعتبار للجذور، وهو نظام شائع في العصر الحديث من شأنه أن يحقق ما يلي:

أولا- التيسير على المستعملين.

ثانيا- التخلص من مشكل الكلمات الأعجمية التي لا جذور لها.

وقد تغلب على ما يمكن أن ينشأ من تشتيت للكلمات المترابطة بتطبيقات الإحالة التي صنعت تماسكا معجميا، وتغلبت على التشتيت المتوقع!

وتتلخص طريقة النخيلي في بناء معجمه في المحورين التاليين:

أولا- البنية الكبرى للمعجم، حيث بناه وفق الترتيب الألفبائي خارجيا، حيث رتبه أبوابا على حروف المعجم، لكل حرف باب هجائي، ورتبه داخليا وفق المنهج نفسه كذلك، فراعى الثواني والثوالث وفق ترتيبها الألفبائي.

ثانيا- البنية الصغرى للمعجم، حيث ضمنه مجموعة من المعلومات تحت كل مدخل تضمنت ما يلي:

١- التصريف والاشتقاق لكل مدخل/ كلمة.

٢- تاريخ استعمال الكلمة/ المدخل.

٣- التأصيل اللغوي للكلمة.

٤- نقل نصوص استعمل فيها اللفظ/ المدخل.

٥- دلالة المدخل (نوع السفينة).

٦- ذكر مكافئاته الترجمية في عدد من اللغات الأوربية، كالإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية.

٧- توثيق المدخل عند من سبق أن ذكره، أو علق عليه.

وفي ما يلي فحص تحليلي لعدد من أسماء السفن تكشف عن منهجية النخيلي في بناء المعجم:

- في التعليق على مدخل(الإبريق) يذكر النخيلي: المدخل (إبريق) دون "ال" مطبوعا بحجم طباعي مائز (أسود غليظ) في مساحة مستقلة في السطر، وهذا التحرير الطباعي أمر مهم للمستعمل ثم يورد تحته ما يلي:

١- موجز لمعلوماته اللغوية (الصرفية) فيقرر أنه: في اللغة: الإناء وأنه مفرد جمعه: أباريق.

٢- موجز لمعلومات التأصيل، فيقرر: أنه من أصل فارسي، ذاكرا:

أ- أصله في لغة الأصل وهو: آب رى/ أبريه/ أبريز.

ب- توثيق تأصيله من المعرب للجواليقي (ص٢٦٥).

ج- نصوص استعماله في العربية، فيذكر الشاهد القرآني: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [سورة الواقعة ١٧/٥٦].

٣- تاريخ استعماله، فيقرر أنه مستعمل منذ القرن ١٩م.

٤- ذكر دلالته ونوعه وأنه سفينة حربية خفيفة كانت تعمل في البحر الأبيض المتوسط، ويقرر أن معرفة العثمانين لها ربما تعود إلى القرن ١٨م، وأنها كانت ضمن قطع الأسطول المصري.

٥- نقل نصوصا من الجبرتي تفيد صناعتها في عهد محمد علي.

٦- ذكر مكافئاته الترجمية، فالإبريق في الإنجليزية Brig وفي الفرنسية Brick, Brigantin وفي الإيطالية Briganlime؛ أي: سفينة القرصان.

٧- تطور المعنى، إذ أطلق في بعض الكتابات على المركب الشراعي ذي الصارين، والقلوع المربعة، المزود بمدافع، ولكن الدكتورة سعاد ماهر فرقت بين اللفظين الفرنسيين ليكون هو الإبريق ويكون الأخير(برجنتين) للسفينة الحربية الصغيرة الخفيفة.

٨- وقد قصر النخيلي في مجموعة من المعلومات من مثل:

أ- معلومات النطق وإن كان واضحا بالصور الإيضاحية (الموضحات).

وفي التعليق على مدخل (كشاف) بتشديد الشين المعجمة، الذي يذكره وفق العادة في سطر مستقل (مساحة طباعية مائزة) وبحجم طباعى مائز (أسود/غليظ) يقرر ما يلي: (ص١٣٢-١٣٣)

١- معلومات النطق، وإن أوردها في الهامش السفلي مرموزا إليها بعدد من النجمات وردت بجوار المدخل. وقال: بتشديد الشين المعجمة، وطريقة قديمة حاسمة تعرف باسم الضبط بالتقييد.

٢- معلومات التعليق على المعنى التي تدور حول ما يلي:

أ- نوع السفينة، فهي "من سفن المدرعات الحربية"، وهي نوعان: نهرى/ ورائد.

ب- تاريخ ظهورها واستعمالها، فهي مستعملة من تاريخ العثمانيين في حوض البحر الأبيض المتوسط في النصف الثاني من القرن ١٩م.

ج- ذكر مرادفاته اللغوية، ويعرف هذا النوع باسم رائد.

٣- معلومات موسوعية، تدور حول ما يلي:

أ- ذكر مكافئه الترجمي: "ويعرف هذا النوع باسم رائد أو مونيتورMonitor.

ب- بعض من استعمله من غير العرب والمسلمين "وقد استخدمه الفرنسيون هذا النوع من المدرعات في هجوم على تونس في عام ١٨٨١م.

ج- عدد ما كان يملكه العثمانيون (ثلاث قطع)، وطوله (٥٣م/٦٨م).

٤- نقل نصوص داعمة للمدخل واستعماله.

٥- توثيق معلومات في الهامش السفلي.

ويلاحظ على معالجة النخيلي لمعلومات ما تحت المداخل ما يلي:

أولا- الاضطراب التنظيمي؛ بمعنى أنه لا توجد خطة يخضع لها ترتيب المعلومات الصانعة لأفق التعليق على المدخل/ الكلمة، فهو يبدأ أحيانا بمعلومات التعليق على الشكل (المعلومات الصرفية وغيرها)، وفي أخرى يبدأ بمعلومات التعليق على المعنى (الأنواع، والتأصيل وغيرهما).

ثانيا- عدم الاطراد في نوع المعلومات المذكورة، بمعنى أنه لا يميز بين المداخل في التعليق.

صحيح أن جسم التعليق الأساسي ثابت وهو يتركز حول:

أ- المعنى، أو نوع السفينة.

ب- تتبع تاريخ استعمالها.

ج- مستوى الاستعمال، أو لابسات الاستعمال.

ولكن عدم الاطراد، وهو ما يعني غياب بعض المعلومات أو حضورها ظاهر، فمعلومات الهجاء، ومعلومات الصيغة، ومعلومات الاشتقاق لا تظهر باستمرار مع كل مدخل.

(ج) الكشافات (فهارس المعجم):

ألحق الأستاذ درويش النخيلي بمعجمه كشافين أساسيين، هما:

١- كشاف (فهرس) أسماء السفن، وجعله على فرعين:

أ- بالعربية.

ب- بالإفرنجية.

٢- كشاف (فهرس المصادر والمراجع)، وجعله قسمين هما:

أ- المصادر والمراجع العربية.

ب- المصادر والمراجع الأجنبية.

ورتبهما ألفبائيا، وفق الشكل النهائي المستعمل لأسماء السفن، وزاد صفة نوعية إيجابية على كشاف أسماء السفن العربية، وهي أنه كان يذكر بجانب الوحدة من المعلومات المكشفة: بعض المعلومات الصرفية بين هلالين (انظر: إبريق (ج: أباريق) وأشكيف (جمع: أشاكيف وأشكيفات) وبراكية (جمع: بركان) وهكذا).

وفي الكشاف الإفرنجي لأسماء السفن الذي جاء مرتبا وفق النظام الألفبائي أيضا فاته أن يضع أمام كل اسم نوع لغته، ولا سيما أنه كان يذكر مكافئات ترجمية من لغات كثيرة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية.

أما الكشاف الخاص بالمراجع والمصادر، فقد اعتمد اسم المؤلف وفق المشهور مدخلا للترتيب، من غير ترقيم!

ولم يخصص النخيلي جزء للملاحق من أي نوع، متخلفا عن سابقه كندرمان.

(٣) مصطلح السفينة: قراءة في نتائج التأصيل اللغوي.

كان التأصيل اللغوي من المعلومات التي انشغل بالعناية بها أصحاب معجمات السفينة في العربية، مما مر التوقف أمامها.

وفحص هذا النوع من معلومات ما أورده هؤلاء المعجميون تحت المداخل في سياق التعريف والتعليق على أسماء السفن العربية الإسلامية قائد إلى نتائج مهمة وخطيرة في سياق تقدير اللسان والحضارة العربيتين معا.

(١/٣) العربية تنجح من جديد.

إن كثيرا من أسماء السفن التي جمعها أصحاب معجمات السفينة في العربية جاء عربيا خالصا، وهو ما يفتح الباب أمام القدرات الهائلة التي يمتلكها اللسان العربي، ومن طريقها استطاع توليد الأسماء الكثيرة المتنوعة لأنواع السفن.

وكانت أكثر طرق توليد أسماء السفن ظهورا في الإنتاج والتفعيل متمثلا في ما يلي:

(مظاهر الاستحداث)

أولا- الاشتقاق

إن الاشتقاق طريق أصيلة في توليد الألفاظ، وهي من خصائص النظام اللغوي للسان العربي؛ إذ العربية لغة اشتقاق، به تنمو ويزداد رصيدها من الكلمات.

وقد لجأ معجم السفينة إلى الاشتقاق لمواجهة سد العجز الذي كان يمكن أن ينشأ في هذا الميدان، وقد اتخذ الاعتماد على الاشتقاق أشكالا متنوعة من مثل استثمار المشتقات التالية:

أ- اسم الفاعل، في مثل : الباخرة/ الباهرات/ الجارية/ سابقة/ قارب، وغيرها.

ب- صيغ المبالغة، في مثل: حمالة (حمالات)، ودكاسة، وطراد/ طيارة/ وكشاف/ ومصباب/ ونقالة، وغيرها.

ج- الصفة المشبهة باسم الفاعل، في مثل: سميرة/ وطريدة/ وغيرها.

د- اسم المفعول، في مثل: مخروط/ ومركوش/ ومسطح/ وملقطة؛ وغيرها.

هـ- اسم الآلة، في مثل: ماعون/ ومعبر (معابر)/ ومعدية/ ومقلقة/ وغيرها.

وقد لجأ معجم السفينة إلى استثمار المصادر في باب التسمية أيضا مما استثمره في هذا الفرع ما يلي:

أ- المصادر الطبيعية القياسية، في مثل: رمث تطريدة وغيرهما.

ب- المصادر الصناعية، في مثل : بحرية/ ورباعي/ ومدفعية/ وغيرها.

ج- المصادر الميمية، في مثل : معاش، وغيره.

ثانيا- الانتقال الدلالي

التحويل أو النقل الدلالي طريق مأنوسة في زيادة الثروة اللفظية في اللغات المختلفة، وهو تغيير دلالة الكلمة بطريق من الطرق المعروفة، توسيعا أو تضييقا، أو بغيرهما من طرق التحويل، كالاستعارة والتشبيه، والمجازات.

وقد لجأ معجم السفينة إلى هذا الباب فاستثمره في خلق أسماء كثيرة من أسماء السفن، ومن ذلك:

- الانتقال الدلالي بسبب المشابهة، في مثل: حمامة/ وعقاب/ وغراب/ وغيرها.

وكما نلحظ فقد غلب نقل أسماء للطيور للمناسبة الطيران والحركة والسرعة وهو ما أرداه المعجم لبعض تسميات عدد من السفن، وربما روعي الشكل أيضا!

ثالثا- التعريب

التعريب أو نقل الكلمة الأجنبية بأصواتها بعد توفيق أوضاعها، لتلائم الأوزان العربية طريق معروفة أيضا في تنمية الثروة اللفظية في العربية، وهي هنا مستقيمة مع المنطق الذي يقضي بأن الذي يحكم النقل من اللغات هو كون المنقولات من الألفاظ الحضارية المستحدثة، ومن ذلك: جالير (من الفرنسية للسفينة الشراعية)، والجنك (من الصينية للمركب الكبير)، والشباك (من الإسبانية لمركب الصيد) والشلندي (من اللاتينية للسفينة مقاتلة).

إن هذه الطرق هي الوسائل المعروفة للتدخل العمدي عند إرادة صناعة قائمة خاصة بمجال معين أو استحداث قائمة بعينها.

صحيح أن كثيرا من هذه التسميات للسفن العربية، لم تضعه مجامع بعينها، ولكن وضعه الصناع والمستعملون، وهو ما يدل على ملكة لغوية مستقرة في العقل الجمعي العربي، مكنته عند الضرورة من وضع معجم كامل للسفينة في اللسان العربي مستثمرا إمكانات اللغة الاشتقاقية، ومستثمرا الطاقات الكامنة في بنيتها من جهة الانتقال الدلالي، بالاستعارة والتشبيهات والمجازات، ثم ناقلا للتسميات من ألسنتها الأجنبية بعد إجراء نوع توفيق صيغي لتتلاءم المعربات مع قوانين الأبنية الصرفية في النظام اللغوي العربي.

وقد اتضح أن الاستحداث (التوليد) اتخذ الشكلين النظاميين المستقرين في علم المصطلحية وهما:

أ-استحداث علاقات بين الدال (اللفظ) والمدلول.

ب- استحداث دوال (توليد ألفاظ جديدة).

(٢/٣) العلاقات الحضارية للعربية:

في ضوء نتائج التأصيل اللغوي لأسماء السفينة في العربية.

إن فحص الطريق الأخيرة من طريق وضع أسماء السفن في العربية، وهو طريق التعريب يكشف عن مجموعة من العلاقات المهمة في سياق قراءة نتائج التأصيل اللغوي لأسماء السفن العربية الإسلامية قراءة حضارية هي كما يلي:

أولا- الانفتاح على العالم.

عكست قراءة طريق التعريب أن الأمة العربية الإسلامية فهمت الطبيعة الحيوية للإنسان، إن بتأثير الإسلام أساسا، وإن بطبيعة التطور والحاجة المادية للحياة التي تحمله على الانفتاح على العالم، وتبادل ناتج المواهب، ونقل ما يسبق إليه غيره من مستحدثات الحضارة.

وقد ظهرت من خلال اللغات التي أمدت المعجم العربي بأسماء عدد من السفن الطبيعية المنفتحة للإنسان العربي المسلم على الوجود الخارجي، من أمم الشعوب المطلة على البحار، فظهرت الإسبانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية، والصينية والفارسية،

سواء كان النقل منها بطريق مباشرة أو غير مباشرة وهو ما يعني أن أغراض التجارة بالأساس ما تزال حاسمة في تعيين مباحث التأصيل اللغوي ولا سيما عند الاختلاف حول أصول بعض الكلمات.

ثانيا- مرونة العقل العربي المسلم

لقد كشفت نتائج التأصيل كذلك في باب أسماء السفن عن قدر من مرونة العقل العربي المسلم، وابتعاده عما يسمى بقيم السلفية السلبية، ذلك أن علاقات التبادل، والتأثر طالت أمما وشعوبا غير مسلمة، وهو نوع وعي قادر على التفرقة بين المعتقد وطبائع المعاش، وأن اختلاف المعتقدات غير مانع من التعايش والتعاون المشترك.

ثالثا- قابلية الإنسان العربي للإنجاز الحضاري المادي.

لقد أظهرت نتائج التأصيل والتحليل الدلالي لعدد من أنواع السفن، ولا سيما في باب المكونات والصناعة للسفن أن الإنسان العربي حصل مجموعة كبيرة من قيم العلم التطبيقي، وحاز قدرا كبيرا بالتجربة والتحصيل من معلومات الكيمياء والفيزياء والفلك والهندسة والرياضة وغيرها ظهرت في كثير من التفاصيل الدقيقة التي تتعلق بصناعة السفينة في المجتمعات العربية على امتداد تاريخ التعامل مع السفن

رابعا- قابلية المجتمع العربي للتطوير

إن قراءة معجم السفينة كاشف عن كثير من الطبائع الاجتماعية التي تطورت بسبب من الصناعة البحرية طالت المناطق التالية:

١- التقسيم الطبقي، والتوزيع السكاني.

٢- تطوير الملابس والأزياء.

٣- تطوير أنواع الطعام والغذاء.

٤- تطوير صناعات بأثر من الارتباط بالبحر، كصناعات المعادن، والحبال،والدهانات، والأطعمة، وغيرها.

إن هذه العلاقات تكشف عن كثير من التغير أصاب الحياة العربية والإسلامية في كثير من المناطق بسبب دخول صناعات السفن إليها.

(٤) مصطلح السفينة: أنماطه ودلالاته.

إن فحص مصطلحية السفينة في المعجمية العربية من جهتي بنية الصيغ الحاملة لها، ومن جهة أنواعها ووظائفها الدلالية تكشف عن كثير من الأمور.

(١/٤) أنماط مصطلح السفينة

تنوعت أنماط مصطلح السفينة تنوعا ظاهرا، لأسباب لغوية في المقام الأول، من أجل أن تقدر على استيعاب كثرة الأنواع.

وقد اتخذت الأنماط أشكالا لغوية متنوعة، يمكن إجمالها في المخطط التالي:

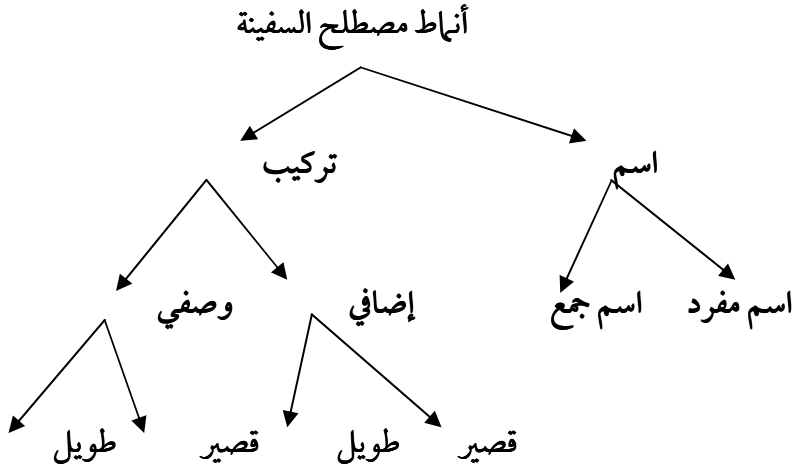

١- نمط الاسم المفرد، بتنوعاته المختلفة، من مثل:

آمرة/ وأسطول/ وأفروطة/ وبالوع/ وجفن، وغيرها.

٢- نمط الاسم الجمع، بتنوعاته المختلفة، من مثل:

بوص/ وديارب/ ومعاشات وغيرها.

٣- نمط التركيب، بتنوعاتها المختلفة، كما يلي:

أ- التركيب الوصفي القصير(موصوف+ صفة): من مثل: جفن بحري/ وجفن حربي/ وورق حربي/ وشختورة مزدوجة/ وغيرها.

ب- التركيب الوصفي الطويل (موصوف+ صفة+ محول للصفة): من مثل: الزواريق المقلة المعدة للعبور/ والسفن الخفيفة المستعملة للعبور وسفينة حاملة للبضائع، وغيرها.

ج- التركيب الإضافي القصير (مضاف+ مضاف إليه)/ من مثل: زوارق الصنادل/ وصندل التوربيد/ وعشارى الخدمة، وغيرها.

د- التركيب الإضافي الطويل (مضاف+ مضاف إليه+ حرف عطف+ اسم معطوف) من مثل: مراكب النزهة والتفرج/ وسفينة النقل والشحن وغيرهما.

وفي داخل كل نمط من هذه الأنماط يمكن ملاحظة تنوعات فرعية تنتمي إليها.

وقد جاء هذا التنوع لأغراض لغوية دلالية في المقام الأول تتعلق بوفرة الوظائف التي اضطلعت بعبء القيام بها هذه السفن في الحضارة العربية والإسلامية.

(٢/٤) دلالات أنماط مصطلح السفينة في العربية.

إن مراجعة تحليل ما مر من أربعة الأنواع الكبرى لأنماط الصيغ التي جاءت وفقها أسماء السفن في الحضارة العربية والإسلامية تكشف عن استثمار السفينة في مجالات الحياة المختلفة على الأصعدة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وهو ما يمكن ملاحظة في مجموعة الوظائف التالية التي ذكرتها معجمية السفينة، للأنواع المختلفة:

أولا- الوظيفة الاجتماعية.

حددت معجمية السفينة في العربية مجموعة من وظائف بعض أنواع السفن تخدم الاجتماع الإنساني ملاحظتها في الميادين التالية:

١- السفر والانتقال من مثل: بابور/ وفلوة/ (لتعدية الناس)/ السفن الخفيفة المستعملة للعبور، وغيرها.

٢- العمل(الصيد) و(المعاش): من مثل: مراكب المعاش/ أعوادى/ وغيرها.

٣- النزهة والتفرج، من مثل: الأهورة (تستعمل للنزهات)/ وسفن النزهة.

ثانيا- الوظيفة الاقتصادية والتجارية

حددت معجمية السفينة في العربية مجموعة من وظائف بعض أنواع السفن تخدم النشاط التجاري والاقتصادي، تتمثل في الشحن، ونقل الغلال والحب وبقية أنواع السلع؛ من مثل: سفينة تجارية/ وسفينة حاملة للبضائع/ وسفن الشحن/ وغيرها.

ثالثا- الوظيفة السياسية (الحربية)

كانت هذه الوظيفة أكثر الوظائف ظهورا في معجمية السفينة العربية، وهو ما يعني استثمار السفينة لأغراض الجهاد والدفاع عن مقدرات الأمة على امتداد تاريخها حتى غدا الأسطول الإسلامي في بعض مراحل التاريخ سيد البحار، وأهم ما يظهر من تسميات جمهرة السفن العربية ما يلي:

أ- القتال، وهو ما يظهر من عدد من السفن نص المعجم العربي، على أنها للجنود المقاتلة: من مثل: حديدية/ وغراب... إلخ.

ب- الخدمات المعاونة، كنقل الجنود، والأسلحة: من مثل: برهاني/ وبنف/ وفلوكة... إلخ.

ج- الهجوم المسلح، من القذف، ورمي الأهداف وغيرها، من مثل: أوج عنبرلى/ وبارجة/ وحراقة... إلخ.

د- الإمداد والتموين، من حمل الأزداد، والطعام والمياه للمقاتلين، من مثل: شينى/ وقربلة... إلخ.

هـ- التدريب العسكري.

إن هذه الوظائف الكبرى التي وردت في أثناء التعليق على معاني مدخل/ أسماء السفن العربية والإسلامية تمثل بابا مهما في دراسة تطور استعمالها في الحياة العربية.

(٥) مصطلح السفينة في العربية : مقالة في آفاق الاستثمار

إن ما نشأ من أسماء شكلت معجم السفينة في العربية لم ينل حظه الكافي من الاستثمار المعرفي.

ومن الممكن أن يفتح هذا المعجم الباب أمام تطوير عدد من المسائل في المجالات العلمية المختلفة، وفي ما يلي محاولة لبيان عدد من المجالات التي يمكن استثمار مصطلح السفينة لتطويرها:

أولا- مجال الدفاع عن قضية التعريب.

تاريخ الدفاع عن استعمال العربية في العلوم الحديثة تاريخ ممتد، اعتمد فيه أنصار هذا التوجه على أدلة تاريخية في الغالب للانتصار لقدرة اللسان العربي على استيعاب العصرية. ولكن إعادة طرح القضية في ضوء ما قدمته اللغة العربية لمعجم السفينة، وأسمائها، وأسماء أجزائها التي تتكون منها بالفرق التوليدية المختلفة يمكن أن يقدم دليلا عمليا تطبيقيا ينضاف إلى مجموع الأدلة التاريخية في بابي الدفاع عن التعريب، والدفاع عن قدرات اللسان العربي في القيام بواجب استيعاب علوم العصر الحديثة.

ولا سيما أن اللغة برهنت على أنها تملك مسارات متنوعة لسد الفجوات المعجمية التي يمكن أن تنشأ في هذا المجال الجديد الذي لم يكن للعرب سابق تقدم فيه.

ثانيا- مجال دراسات التأصيل اللغوي في ما حوله خلاف في أصوله من الكلمات.

تكشف العلاقات التاريخية التي قامت بتأثير العلاقات التجارية والحربية التي كانت السفينة بطلتها عن إمكان حسم الجدل الدائر حول عدد من الألفاظ الأعجمية التي اقترضها اللسان العربي من اللغات الأخرى.

إن فحص أماكن الاستيراد، والمواد المستوردة يمكن أن تقدم الكثير في هذا الباب اللغوي المهم؛ ذلك أن الكلمات عندما تسافر تحمل معها خصائص البيئة التي سافرت وهاجرت منها.

ثالثا- مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

من الملاحظ قلة الاعتماد على التحليل المعجمي، واتخاذه مصدرا من مصادر إعادة كتابة التاريخ ومع أن ثمة تجديدا في مناهج كتابة التاريخ، وفي الموضوعات التي يتناولها الدرس التاريخي، فإن الاعتماد على المعجم لا يزال متأخرا الرتبة بشكل ملحوظ جدًّا.

وفحص معجمية السفينة قادر على أن يمدنا بمجموعة طيبة من النتائج التي من شأنها أن تسهم في تطوير بحوث التاريخ ولا سيما الاقتصادي والاجتماعي.

لقد طور المجتمع العربي والمسلم من وظائف السفينة، واستعملوها في التجارة والنقل، مما نشأ عنه نوع علاقات ومجتمعات جديدة اكتسبت من ورائها مجموعات بشرية عديدة خصائص، ومعارف، وأنماط معيشية نوعية.

وربما قاد تحليل معجمية السفينة إلى تقديم نتائج جديدة تتعلق بمجتمع التصنيع وقواعده، ومواده، والصناعات التي قامت حولها، وحركة نقل البضائع، وحفظها في أثناء رحلة النقل، وتطور تاريخ الأطعمة، وأنظمة الطهي، وغير ذلك من المباحث التاريخية التي لم يستثمر معجم السفينة في تطويرها حتى اليوم.

رابعا- مجال الدراسات العسكرية والاستراتيجية.

بدا من بعض الفقرات السابقة أن واحدة من كبريات وظائف السفينة في الحضارة العربية والإسلامية كانت ماثلة في الاستعمالات الحربية والعسكرية، وأظهرت الدراسة أن هذه الوظيفة الحربية تفرعت وتوزعت على مجموعة من الوظائف المنضوية من مثل أعمال القتال، والهجوم المسلح بالقاذفات والإمداد والتموين، وخطط الهجوم، وتوزيع المهام... إلخ.

خامسا- الدراسات الحضارية.

إن دراسة معجمية السفينة في الحضارة العربية والإسلامية يمكن أن تسهم في دراسة الأبعاد الحضارية المادية التي مكنت العقل العربي، من استيعاب صناعة السفن،

وتطويرها، والعلوم المستعملة فيها وربما أمكن أن تقدم إجابة عن غياب السفينة في الحضارة الإسلامية عن تاريخ القرصنة بشكل ملحوظ[1].

الخاتمة:

نشأت فكرة هذا البحث من فرضية أساسية تتعلق بقدرات اللسان العربي على استيعاب المستحدثات الحضارية التي لم يكن للعرب سابق عهد بها.

وقد تناول هذا البحث على امتداد مباحثه المختلفة مجموعة من المسائل حاولت أن تتفاعل مع فرضيته، فدرس ما يلي:

أولا- مدخل: البحر وجهة جديدة للعربي المسلم.

ثانيا- السفينة في المعجم العربي: المدونة والعلاقات المعرفية.

ثالثا- مصطلح السفينة: التأصيل والأنماط والدلالات.

رابعا- آفاق استثمار معجمية السفينة.

وكانت مشغلته وهو ينتقل من مبحث لآخر أن يجيب عن مجموعة من الأسئلة رأي أن الإجابة عنها تنهض بعبء تغطية هذا المجال البكر في الدراسات المعجمية ذات الصلة بالحضارة.

وقد كشف البحث عن مجموعة من النتائج، التي يرى أهميتها وهي كما يلي:

١- ما تزال الحركة الاستشراقية تثبت أولية تعرضها لكثير من الميادين، بفعل التخطيط والعقيدة التي حكمت بحوث حركة الاستشراق، وهو ما تجلى في سبق الغرب للعناية بمعجمية السفينة في العربية على ما رأينا في العمل المعجمى لهانس كندرمان سنة ١٩٣٤م الذي سبق به العرب المعاصرين بنحو أربعة عقود كاملة.

---

(١) يلحظ دارس التاريخ القرصنة غيابا شبه كامل للسفينة العربية والمسلمة عن القرصنة بالمفهوم السلبي (الجريمة) وهو ما يمكن أن يكون محور الدراسات أخلاقية وحضارية بتأثير الإسلام. انظر: تاريخ القرصنة في العالم، لياتسيك ماخوفسكي، ترجمة الدكتور أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٨م.

٢- كشف فحص التراث اللغوي العربي، وغيره عن وجود بدايات للعناية بمعجمية السفينة؛ كان من الممكن استثمارها والبناء عليها، على ما رأينا في المخصص لابن سيده، وقوانين الدواوين لابن مماتي.

٣- ظهر نوع وعي بطبيعة معجمية السفينة من جهة:

أ- نظام الترتيب الألفبائي النهائي، تعاطيا مع وجود مداخل أعجمية، لا يستقيم إدراجها في نظام ترتيب جذري.

ب- نوع المعلومات التي أوردها أصحاب المعاجم المعاصرة للسفينة، ولا سيما ما يتعلق بمعلومات مستوى الاستعمال أو الميدان، والمعلومات التاريخية.

ج- الحضور الجيد للنصوص التاريخية في البنية الصغرى للمعاجم في التعليق على المداخل.

د- تنوع مظاهر الاستحداث (التوليد) في مجال خلق معجمية السفينة من طريق الدال والمدلول.

هـ- العناية بمعلومات التأصيل اللغوي للمداخل.

٤- كشفت الدراسة عن تنوع الأنماط (الصرفية) لمصطلحات السفينة، واستثمارها لإمكانات الاسم (مفرد/ جمع) وإمكانات التركيب (وصفي/ إضافي).

٥- كشفت الدراسة عن أربعة حقول أساسية دارت حولها الوظائف الدلالية للسفينة هي:

أ- الاقتصاد والتجارة.

ب- النقل والسفر والاجتماع.

ج- الحرب والقتال.

د- النزهة والترويح.

٦- اجتهد البحث في استشراف مجموعة من آفاق الاستثمار يمكن إسهام معجمية السفينة في خدمتها، وتطويرها.

***